
قافلة الزيت
رجب ١٤٠٣هـ ابريل/ مايو ١٩٨٣م
جولة في:
ربوع عاصمة
الأمويين بالأندلس

بسم الله الرحمن الرحيم

قافلة الزيت

العدد السابع / المجلد الحادي والثلاثون

رجب ١٤٠٣هـ ابريل/ مايو ١٩٨٣م

تصدر شهرياً عن شركة ارامكو لموظفيها
ادارة العلاقات العامة

العنوان

صندوق البريد رقم ١٣٨٩
الظهران - المملكة العربية السعودية

توزع مجاناً

المدير العام : فيصل محمد البسام

المدير المسؤول : إسماعيل ابراهيم نواب

رئيس التحرير : عبدالله حسين الغامدي

المحرر المساعد : عوني ابو كشك

- جميع المراسلات باسم رئيس التحرير.
- كل ماينشر في قافلة الزيت يعبر عن آراء الكتاب أنفسهم ولا يعبر بالضرورة عن رأي القافلة أو عن إتجاهها.
- يجوز إعادة نشر المواضيع التي تظهر في القافلة دون إذن مسبق على ان تذكر كمصدر.
- لا تقبل القافلة إلا المواضيع التي لم يسبق نشرها.

صورة الغلاف :

روائع من الفن المعماري في مسجد قرطبة. راجع مقال : « جولة في ربوع عاصمة الأمويين بالأندلس ».

تصوير : شيخ أمين

طباعة شركة مطابع المطوع - الدمام
DESIGNED AND PRINTED BY AL-MUTAWA PRESS CO. - DAMMAM



٦



٢٢

أضـواء عـلى الشخصـية الإنسـانية

د. لطفي بركات أحمد / أبهـا

قبل أن نتعرض لالقاء بعض الضوء على الشخصية الانسانية ، سنحاول تحديد المعنى العلمي لهذه الكلمة وخاصة ان استعمالها في الأحاديث العادية من المرونة بحيث يحتمل أكثر من معنى واحد ، فللشخصية عند العامة مفهوم يختلف عن مفهومها عند العلماء . فقد تعود الناس خطأ أن يقولوا عن (س) من الناس أن له شخصية وعن (ص) من الناس أنه ليس له شخصية ، ومعنى هذا في نظرهم أن الشخصية شيء موجود عند بعض الأفراد ومفقود عند البعض الآخر . والحقيقة العلمية أن لكل انسان شخصيته الخاصة به غير أن الناس يختلفون في نوع هذه الشخصية وليس في وجودها أو عدمه .

والأصل في كلمة شخصية مرده إلى اللفظ اللاتيني Persona ومعناه القناع أو الوجه المستعار الذي يظهر به الشخص أمام الغير . وكان استعمال هذا اللفظ مرتبطا بالتمثيل المسرحي وما يبدو على الفرد من الصفات الظاهرية بصرف النظر عما يخفيه في نفسه من صفات داخلية ويرتبط بهذه الفكرة تعريف الشخصية بالقدرة على التأثير في الغير أو الأثر الذي يتركه الشخص فيمن حوله من هيبة ووقار وكبرياء وتواضع وخضوع واستسلام .

الحقيقة أن هذه التعاريف لا توضح لنا شيئا من الصفات الداخلية الحقيقية في الشخص ، إذ أن الفرد يمكن أن يعتبر عددا من الشخصيات وهي الشخص كما يراه غيره والشخص كما يرى نفسه والشخص على حقيقته .

كذلك تعريف السلوكيين للشخصية يتناول أيضاً الصفات والمظاهر الخارجية للشخص إذ يوضح أن الشخصية هي مجموع العادات السلوكية للفرد أي مجموع أوجه النشاط التي يمكن الكشف عنها بالملاحظة الفعلية لمدة طويلة تكفي لأخذ فكرة شاملة عن الشخص .

أما تعريف مدرسة التحليل النفسي فعلى النقيض من التعريف السابق إذ أنه ينظر إلى الشخصية كقوة مركزية داخلية توجه الفرد من حركاته وسكناته . وهناك تعريف مورتن برنس Morton Prince الذي يقول إن الشخصية هي حاصل جمع كل الاستعدادات والميول والغرائز والدوافع والقوى البيولوجية الفطرية وكذلك الصفات والاستعدادات والميول المكتسبة من الخبرة .

والحقيقة أن تعريف السلوكيين تعريف قاصر لأنه يهتم فقط بمظهر واحد من الشخصية وهو الشخص كما يراه غيره ، كذلك تعريف مدرسة التحليل النفسي غير شامل لأنه يهتم فقط بالشخص كما يرى نفسه ، كما أن تعريف مورتن يجانبه الصواب لأن الشخصية لا تتجزأ وهي أكثر من مجرد حاصل جمع صفات فهي كالمركب الكيماوي يحتوي على صفات خاصة به تختلف كل الاختلاف عن صفات العناصر المكونة له . وعلى ضوء هذا كله يمكننا أن نقدم التعريفين التاليين كنموذجين يبرزان أهمية تكامل الشخصية من منظور علمي سليم وذلك على النحو التالي :

التعريف العلمي للشخصية

برزت عدة تعريفات جديدة للشخصية ، نذكر منها التعريفين التاليين :

- تعريف البورت – G. H. Allport
  يقول البورت إن الشخصية هي التنظيم الديناميكي في نفس الفرد لتلك الاستعدادات الجسمية النفسية التي تحدد طريقته الخاصة للتكيف .
- تعريف بيرت – Burt
  يقول بيرت إن الشخصية هي ذلك النظام الكامل من الميول والاستعدادات الجسمية والعقلية الثابتة نسبيا والتي تعتبر مميزا خاصا للفرد وبمقتضاها يتحدد أسلوبه الخاص للتكيف مع البيئة المادية والاجتماعية .

ويتضح لنا من التعريفين السابقين الآتي :

- أن تعريف البورت يشير إلى فكرة الديناميكية في الشخصية ، أي التفاعل المستمر بين عناصرها ، كما أن تعريف بيرت يشير إلى فكرة الثبات نسبيا أي إلى أهمية عناصر الشخصية التي لا تتغير كثيرا على طول الزمن ، فهذه هي الصفات التي يصح الاستناد عليها في الحكم على الشخصية مثل هيئة الجسم والذكاء العام والصفات الموروثة والمكتسبة التي لها صفة الدوام نسبيا .
- كل من التعريفين يؤكد فكرة التكامل وكون الشخصية ليست مجرد مجموع الصفات فهي أكثر من مجرد حاصل الجمع .
- كل من التعريفين يؤكد أن بعض الصفات الداخلة في تكوين الشخصية بيولوجية جسمية مثل لون الشعر وقوة الجسم والتركيب الغدي والعضلي وبعضها صفات عقلية مثل الذكاء .
- لم يهمل التعريفات أهمية البيئة وأثر عناصر الشخصية في تكيف الفرد وتفاعله معها ولذا لا يمكن دراسة الفرد منعزلا عن الوسط الاجتماعي الذي يعيش في اطاره .
- يظهر من كل من التعريفين فكرة التميز التي تجعل كل فرد مختلفا عن غيره بحيث لا يوجد أثنان متشابهان تشابها تاما ، وهذا االتميز هو الأساس العام لمعنى الشخصية .

العناصر الأولية للشخصية

حاول كثير من علماء النفس والتربية تقسيم الشخصية وتحليلها إلى وحدات رئيسية متعددة وصلت في تصنيف كاتل – Cattell مثلا إلى ١٧١ وحدة ، والواقع أنه مهما تعددت هذه التصنيفات في ظاهرها وتفاصيلها ، فان هناك شبه اجماع على أن العناصر الأولية للشخصية هي :

- النواحي الجسمية : والمقصود بها حالة الجهاز العصبي وتأثير الغدد الصماء وحالة الجهاز الهضمي والحواس المختلفة من ناحية حدتها أو ضعفها وكذلك شكل الجسم العام وقوة العضلات وتناسب التقاسيم ورنة الصوت وسرعة الحركة أو بطئها .
- النواحي العقليـة : وهي إما نظرية كالذكاء والقدرات الخاصة والمواهب وإما مكتسبة كالآراء والأفكار والمعتقدات والمعلومات المختلفة .
- النواحي المزاجيـة : وهي مجمـوع الصفات الانفعالية المميزة للفرد وتتضمن تلك الاستعدادات الثابتة نسبيا المبنية على ما عند الشخص من الطاقة الانفعالية والدوافع الغريزية التي يزود بها ، والتي تعتبر وراثية في أساسها . وهي تعتمد على التكوين الكيمائي والغددي والدموي وتتصل اتصالا وثيقا بالنواحي الفسيولوجية

والعصبية ، وتظهر في الحالات الوجدانية والطباع والمشاعر والانفعالات من حيث قوتها أو ضعفها ، ثباتها أو تقلبها ومدى المثيرات التي تثيرها .

• **النواحي الخلقية :** وتشمل الصفات الخلقية المختلفة كالأمانة والخيانة والتعاون والأنانية والصدق والكذب والاقدام والاحجام والرحمة والغلظة والعدل والظلم والتسامح والتعصب والمسالمة والعدوان والكرم والبخل إلى غير ذلك مما يدخل في نطاق الاتجاهات النفسية المتعددة الأوجه .

تأثير عناصر الشخصية بعضها في بعض

تؤثر عناصر الشخصية بعضها في بعض في امتزاج وتداخل وتفاعل مستمر ، مما يمكن توضيحه على النحو التالي :

تأثير العنصر الجسمي في بقية عناصر الشخصية

أدرك الناس من قديم الزمن ما بين الناحية الجسمية للشخص من علاقة وثيقة وارتباط كبير بالناحية العقلية حيث قالوا « العقل السليم في الجسم السليم » والواقع أن أثر الناحية الجسمية في الشخصية لا يختصر على الناحية العقلية بل يمتد إلى جميع عناصرها ، فمن الثابت علميا أن لافرازات الغدد الصماء تأثيرا كبيرا ليس فقط على النمو الجسمي والحركي ، بل وأيضاً على الذكاء واليقظة الفكرية وعلى الاتزان الانفعالي والنضج الجسمي ، وكل هذا يؤثر على الشخصية من حيث اتزانها أو اختلالها . كما أن العاهات والأمراض خاصة المزمنة منها تؤثر في النواحي العقلية والمزاجية والخلقية . فبعض العاهات لها أثر تعويضي يتضح من المثل القائل « كل ذي عاهة جبار » ، وهذا الأثر كثيرا ما يظهر في شحذ قدرات الشخص الجسمية والعقلية ، كما يظهر أيضاً بشكل بارز في صفاته واتجاهاته الخلقية وتعامله مع الآخرين ، وهناك عاهات يحدث منها شذوذ بالغ في الشخصية كالعاهات الناتجة من حوادث الاصابة في المخ مثلا .

أما الأمراض خاصة المزمنة منها ، فلها أثر لا يقل عن أثر العاهات إذ أنها تؤثر على الجسم كله وتحد من قدرة الشخص على استثمار طاقته العقلية ، كما تؤثر في الناحية المزاجية والاجتماعية من شخصيته فتجعله خاملا في تفكيره مثلا أو سريع التهيج والغضب في تصرفاته أو تجعله ساخطا متبرما ، وغني عن الذكر أن البنية القوية والصحة الموفورة تعينان الشخص على الوقوف من الحياة موقف التصدي والتحدي مما لا يقدر عليه العليل أو السقيم ، فالصحة الجسمية بلاشك أساس الصحة النفسية .

تأثير العنصر العقلي في بقية عناصر الشخصية

ويمكن ايضاح هذا التأثير لو قارنا بين « الشخص الذكي والشخص الغبي وضعيف العقل » . فالذكاء وهو أهم وأبرز القدرات المعرفية الفطرية العامة سلاح الشخصية في التصرف والتكيف والتحكم في النزعات والدوافع الفطرية والتوفيق بينها وبين تقاليد البيئة ومقتضياتها . فالشخص الذكي يستطيع أن يقدر ويفهم معنى وأهمية وكيفية المحافظة على صحته ووقايتها من الأمراض ، ويستطيع أن يستفيد مما حوله وممن حوله ويكيف نفسه للوسط الذي يعيش في اطاره وينمي ميوله واتجاهاته الاجتماعية وبذا يسهل امتصاصه للثقافة التي يعيش فيها .

أما الشخص الغبي فان غباءه يتسبب في صعوبة تنشئته الاجتماعية المتكاملة ، وتكون شخصيته عرضة للشذوذ الاجتماعي والخلقي . وتدلنا الاحصاءات في محيط الانحراف والإجرام على أن احتمال انسياق الشخصية إلى الاجرام يتناسب طرديا مع درجة الغباء وعكسيا مع درجة الذكاء .

كذلك الضعف العقلي فله أثره الكبير على جميع نواحي الشخصية إذ يصحبه غالبا تأخر في النمو الجسمي والانفعالي والخلقي . ومن الصفات المعروفة عن ضعاف العقول أنهم يتأخرون في النمو والمشي والكلام وسرعة التعليم وأن فيهم ضعفا في التوازن الحركي والجسمي ، كما أن أفكارهم ضئيلة وآراءهم سطحية وليس لديهم القدرة على التحكم في دوافعهم النفسية وانفعالاتهم الغريزية .

تأثير العنصر المزاجي في بقية عناصر الشخصية

يتضح تأثير هذا العنصر من ملاحظة ودراسة أثر الانفعالات في سلوك الفرد وما يطرأ عليه بسببها من تغيرات شاملة عقلية وجسمية ومن التجارب التي أجراها كانون — Cannon للاحظة ما يصاحب الانفعال من تغيرات أنه فحص ، بأشعة أكس ، قطة بعد أن تناولت غذاءها ، فرأى أن المعدة تقوم بحركتها المنتظمة في عملية الهضم ، ثم أظهر أمام القطة كلبا كبير الحجم فلاحظ « كانون » أنه بعد أن أدركت القطة الكلب ، ظهرت عليها علامات الخوف ، ولاحظ أن عملية الهضم وقفت دفعة واحدة وأن الأوعية الدموية انقبضت في المعدة واتسعت في أطراف الجسم ، وأن ضغط الدم قد زاد زيادة كبيرة في هذه الأطراف ، وأن تغيرات عدة طرأت على افرازات الغدد مما أدى إلى زيادة افراز العرق وقلة اللعاب .

وعلى ضوء هذه التجربة يتضح لنا أن الانفعال حالة مزاجية جسمية ثائرة نتيجة مثير خارجي أو داخلي ، وإذا أعيقت هذه الطاقة الانفعالية عن الانطلاق في سلوك خارجي مناسب ، زاد تراكمها واشتدت وطأتها وتضخمت اضطرابات الأجهزة الجسمية والاحشاء وقد تحدث للفرد أعراض من عسر الهضم والصداع والقيء والامساك والاسهال ، ومعنى هذا أن شدة الانفعالات تؤدي إلى اضطرابات عضوية خطيرة تعرف بالأمراض السيكوسوماتية ومن أعراضها قرحة المعدة والاثنى عشر والربو والتهاب المفاصل الروماتيزمي ونوع من الصلع وكثير من حالات السكر والبدانة واللهباجو وعرق النساء وبعض اضطرابات الولادة عند النساء وأغلب أمراض الجلد التي لا تنشأ عن تلوث .

وكما تؤثر الانفعالات في الناحية الجسمية ، فانها تؤثر أيضاً في الناحية العقلية لأنها تحول بين الفرد وبين التفكير السليم وتجعله متهورا وقد تدفعه لأن يتصرف تصرفا يضر بنفسه أو بغيره ، كما أن الانفعال إذا اشتد فربما يشل صاحبه كلية عن التفكير .

تأثير العنصر الخلقي في بقية عناصر الشخصية

ويتمثل هذا التأثير جليا في أثر الثقافة في الشخصية ، والأخلاق من أبرز عناصر التراث الثقافي التي يتركها السلف إلى الخلف ، تلك العناصر التي يتغير بعضها ليساير روح العصر ، فيصبح الناتج النهائي ثقافة المجتمع التي يتطبع الناشئة بها .

وتأسيسا على هذا كله ، يتضح لنا كيف تمتزج عناصر الشخصية وتتفاعل بعضها مع بعض ويؤثر بعضها في بعض ، فشدة الانفعال تعطل التفكير ، والتهور يفسد الحكم ، والغباء يؤثر في نفس المرء وكبريائه ، وكذلك العاهة الجسمية والاندماج في المجتمع ينمي ما لدى الفرد من قدرات ومواهب ، ونمو هذه المواهب قد يزيد من الروح الاجتماعية للفرد ونحن نعبر عن هذا التفاعل في حياتنا العادية حين نقول ان فلانا جريء في ثبات وتؤده أو في تهور واندفاع أو أنه سريع التصرف في قوة أو في ضعف ، أو هو على ثقة كبيرة في نفسه □

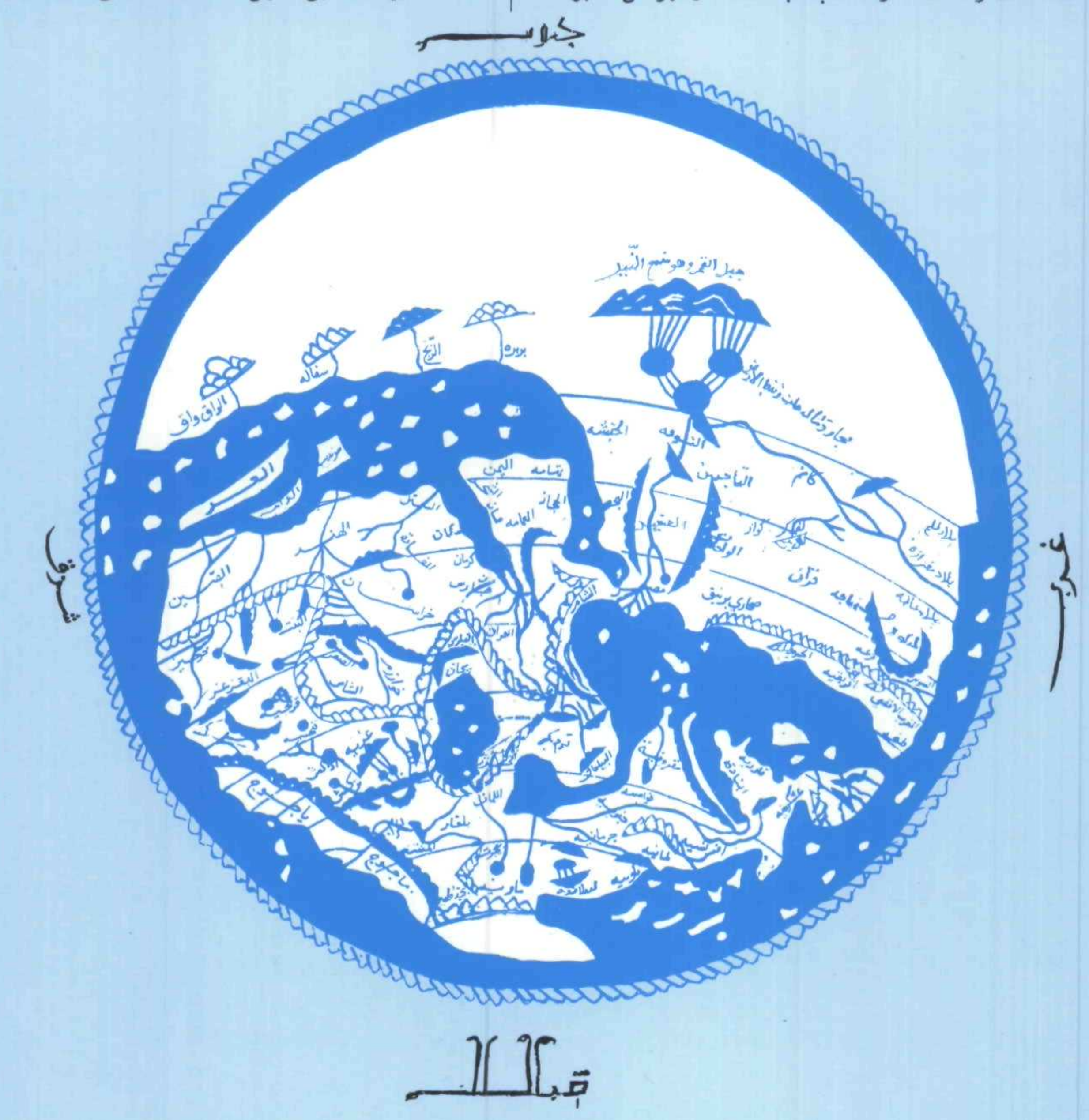
البحار في كتب البلدان

بقلم: د. أنور عبد العليم / جدة

مملكة الإسلام

حين اتسع نطاق الدولة الإسلامية في عهد الأمويين والعباسيين ، أضحت الحاجة ماسة إلى وضع مؤلفات جغرافية تصف الطرق والمسالك ومراحل البريد وأحوال السكان الاجتماعية والاقتصادية وتحدد المدن والأقاليم ومواقعها وخراجها في الأمصار المختلفة . ومن ثم ظهرت سلسلة من كتب الجغرافيا الوصفية عرفت تحت أسماء « المسالك والممالك » أو « كتب البلدان » . وأشهر من كتبوا في هذه المصنفات ابن خرداذبة (٨٤٦ م) واليعقوبي (٨٩٠ م) وابن الفقيه الهمذاني (٩٠٣ م) وابن رسته (٩١٠ م) والبلخي (٩٣٤ م) والاصطخري (٩٥٠ م) وابن حوقل (٩٧٥ م) والمقدسي (٩٨٥ م) . ولم يهمل هؤلاء وصف البحار ولا وصف الممالك والدول التي جاورت مملكة الإسلام كبلاد الصين والدولة البيزنطية . كما ان منهم من وضّح مؤلفاته بخارطات تمثل ما يعرف باسم « أطلس الإسلام » .

ويصف ابن حوقل حدود الدولة على عهده بقوله : « ومملكة



الإسلام في حيننا هذا ووقتنا فان طولها من حد فرغانة حتى يقطع خراسان والجبال والطرق وديار العرب إلى سواحل اليمن فهو نحو خمسة أشهر ، وعرضها من بلاد الروم حتى يقطع الشام والجزيرة والطرق وفارس وكرمان إلى أرض المنصورة على شط بحر فارس نحو أربعة أشهر . ولو صالح أن يجعل طول مملكة الإسلام من فرغانة إلى أرض المغرب والأندلس لكان مسيرة ثلاثمائة مرحلة » .

الخبرة والتجربة العربية أثرتا المعارف البحرية

لقد وصف العرب الطرق الملاحية البحرية التي سلكوها بتفصيل كبير (١) ، واستطاعوا نتيجة للخبرة التي اكتسبوها أن ينقضوا كثيرا من التصورات عن البحار وأبعادها التي ترجمت عن العلم اليوناني . كما استطاعوا أن يدخلوا كثيرا من التحسينات على آلة رصد الأجرام السماوية المعروفة باسم « الاسطرلاب - Astrolabe » وعلى البوصلة الملاحية أو « بيت الابرة » ، وبناء على أرصادهم الدقيقة تمكنوا من تصحيح كثير من المواقع الجغرافية في أطلس بطليموس الذي ترجمه البتاني تحت اسم « صورة الأرض » وفي ذلك يقول البتاني (٨٥٢ — ٩٢٩ م) : « وفي هذا الكتاب خلل في الأطوال والعروض وسنعيد ذكر ما نحتاج إليه من ذلك .. » . وكان لتقدم علوم الرياضيات والفلك على أيدي العرب أثر كبير في وضع الجداول المعروفة بالأزياج سواء في مراصد المشرق العربي أو بالأندلس . ولقد أسهمت هذه الجداول في نجاح المحاولات الملاحية التي تمت على أيدي البرتغال والاسبان في المحيط الأطلسي في النصف الثاني من القرن الخامس عشر الميلادي والتي انتهت بالدوران حول أفريقيا وبالوصول إلى العالم الجديد .

المقدسي وابعاد المحيط الهندي

يقول شمس الدين المقدسي (٩٨٥ م) في كتابه المعروف تحت اسم « أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم » في معرض الكلام عن المحيط الهندي : « أعلم أنا لم نر في الإسلام إلا بحرين (يقصد محيطين) حسب أحدهما من نحو مشارق الشتاء بين بلاد الصين وبلاد السودان (أفريقيا) فإذا بلغ مملكة الإسلام دار على جزيرة العرب كما مثلناه وله خلجان كثيرة وشعب عده . وقد اختلف الناس في وصفه والمصورون في تمثيله فمنهم من جعله شبه طيلسان يدور ببلاد الصين والحبشة وطرف بالقلزم وطرف بعبادان وأبو زيد جعله شبه طير منقاره بالقلزم ولم يذكر شعبة ويلة (يقصد خليج العقبة أو خليج أيلة) وعنقه بالعراق وذنبه بين حبشة والصين . ورأيته ممثلا على ورقة في خزانة أمير خراسان وعلى كرباسة عند أبي القاسم بن الأنماطي النيسابوري وفي خزانة عضد الدولة والصاحب (بن عباد) وإذا كل مثال يخالف الآخر وإذا في بعضهن خلجان لا أعرفها ... »

ها هو ذا جغرافي عربي قديم يقضّ مضجعه رسم المحيط الهندي في الخارطات المختلفة ومنها ما هو منقول عن الخرائط اليونانية ، فلا يطمئن لأي رسم منها ، لأن بينها وبين بعضها اختلافا كبيرا فيسافر وينقب في المكتبات الخاصة (خزانات الكتب) ويستفسر ثم لا يطمئن ويستطرد فيقول : « .. وأما أنا فسرت فيه نحو الفي فرسخ (٢) (أي نحو ١٢,٠٠٠ كيلومترا) ودرت على الجزيرة كلها من القلزم إلى عبادان سوى ما توهت بنا المراكب إلى جزائره ولججه وصاحبت مشايخ فيه ولدوا ونشأوا بين ربابين وأشاتمة (رؤساء البحارة) ورياضيين ووكلاء تجار ، ورأيتهم من أبصر الناس به وبمراسيه وأرياحه وجزائره . فسألتهم عنه وعن أسبابه وحدوده ورأيت معهم دفاتر في ذلك يتدارسونها ويعولون عليها ويعملون بما فيها ، فعلقت من ذلك صدرا صالحا بعدما ميزت وتدبرت ثم قابلته بالصور التي ذكرت » .

المسعودي وبحر الروم

ويلاحظ العالم الجغرافي والمؤرخ العربي ابو الحسن علي بن الحسين المسعودي (٩٤٧ م) في « مروج الذهب » نفس ملاحظة المقدسي بالنسبة لخبرة الملاحين العرب بالبحار ونقضهم للتصورات اليونانية الخاطئة فيقول : « ووجدت نواخذة (رؤساء السفن) بحر الصين والهند والسند والزنج واليمن والقلزم والحبشة من السيرانيين والعمانيين عن البحر الحبشي في أغلب الأمور على خلاف ما ذكرته الفلاسفة (يقصد فلاسفة اليونان) وغيرهم مما حكينا عنهم المقادير والمساحة وأن ذلك لا غاية له في مواضع منه . وكذلك شاهدت أرباب المراكب في البحر الرومي من الحربية والعمالة والنواتية (٣) وأصحاب الأرحل (٤) والرؤساء ومن يلي تدبير المراكب والحرب فيها مثل لاوي (٥) المكني بابي الحارث غلام ذراقة صاحب طرابلس الشام وذلك بعد الثلاثمائة أي سنة (٩١٢ م) يعظمون طول البحر الرومي وعرضه وكثرة خلجانه وتشعبه .

وعلى هذا وجدت عبد الله بن وزير صاحب مدينة جبلة من ساحل حمص من أرض الشام ولم يبق في هذا الوقت وهو سنة ٣٣٢ هـ أبصر منه بالبحر الرومي وليس فيمن يركب من أرباب المراكب من الحربية والعمالة الا وهو ينقاد إلى قوله ويقر له بالبصر والحذق وما هو عليه من الديانة والجهاد القديم فيه » .

وتعتبر خريطة الشريف الادريسي (١١٥٤ م) للدنيا التي رسمها في بلرمو عاصمة صقلية بتكليف من ملكها روجر الثاني المعروف بالرّجار من أحسن الخرائط التي رسمت في هذه .

وبعد ذلك بوقت طويل يتكلم أبو الفدا (١٣٢١ م) في كتابه المعروف بتقويم البلدان عن البحار ببعض التفصيل ويقول



« ان البحار العظيمة المشهورة خمسة وهي البحر المحيط وبحر الصين وبحر الروم وبحر بنطس وبحر الخزر » . ويصف بحر ورتك (وهو بحر البلطيق) ويقول انه « لم يجد لهذا البحر ذكرا سوى في مصنفات أبي الريحان البيروني وفي التذكرة للنصير (الطوسي) فاثبته حسبما ذكر البيروني » وجدير بالذكر ان أبو الفدا قد سافر بنفسه إلى فرنسا وبريطانيا .

التيارات المنعكسة في المحيط الهندي والتيارات الصاعدة

لا ريب في أن التيارات البحرية التي تتبع الرياح الموسمية قد يسرت الملاحة في المحيط الهندي وهي تندفع من الشرق إلى الغرب أي من الهند للساحل الأفريقي في أشهر الشتاء وتنعكس في أشهر الصيف . ومما لاشك فيه أن العرب قد عرفوا سر هذه الرياح من قبل الإسلام بقرون وقد انتفعوا بها في الملاحة عبر المحيط . غير أن أول نص مدون لها نجده في كتاب ابن خرداذبة « المسالك والممالك » وفيه يقول :

« وسئل اشتيامو البحر (رؤساء البحارة) عن المد والجزر فذكروا أنه إنما يكون في بحر فارس على مطالع القمر وأنه لا يكون في البحر الأعظم (المحيط الهندي) إلا مرتين في السنة مرة يمد البحر في شهور الصيف شرقا بالشمال ستة أشهر ، فاذا كان ذلك طما الماء في مشارق البحر بالصين وانحسر عن مغارب البحر ، ومرة يمد في شهور الشتاء غربا بالجنوب ستة أشهر ، فاذا كان ذلك طما الماء في مغارب البحر وانحسر بالصين » .

ويحدثنا ابن الفقيه والمسعودي عن خطورة الملاحة في بحر الزنج « وأمواجه عظام كالجبال الشواهق ، وهو موج أعمى لا ينكسر ولا يظهر له زبد كسائر أمواج البحار » ويضيف المسعودي بأن للملاحين العمانيين أرجوزة في ذلك يصفون فيها أمواج بحر بربرة ورأس جردفون وكانت تعرف باسم حافون وفيها يقولون :

بربـره وحفـوني وموجـك المجنـون
حفـون وبربـرة وموجهـا كما ترى

وعلى ذكر التيارات البحرية فقد وصف البيروني (القرن ١١ م) ولأول مرة في التاريخ التيارات الصاعدة من الأعماق إلى سطح البحر ووصفه ينم عن قوة الملاحظة وفي ذلك يقول في كتابه المعروف باسم « الآثار الباقية » : « ويستدل عليها بارتفاع الشباك من ذاتها من قعر البحر » (٦) ، وجدير بالذكر ان ملاحظة مماثلة كانت سببا في اكتشاف التيار التحتي الذي يسير في المحيط الأطلنطي تحت تيار الخليج وفي الاتجاه المضاد وذلك في عام ١٩٥٧ م خلال دراسة المحيطات في « السنة الجيو – فيزيقية الدولية » إذلاحظ العلماء أن شباك الصيد التي أدليت إلى المياه العميقة قد انحرفت في الاتجاه المضاد لسير التيار السطحي فأيقنوا بوجود التيارات التحتية وقاسوا سرعتها ومسارها .

عن المد والجزر

وقد أطلق العرب كلمة المد على التيارات البحرية بوجه عام سواء أكانت تيارات بسبب المد والجزر أو تيارات المحيطات العظمى مثلما تقدم ذكره في كلام ابن خرداذبة .. وقد وصف العرب المد والجزر نصف النهاري والمد الفيضي Spring Tide الذي يحدث في أوائل الشهر العربي ومنتصفه وقاسوا الذبذبة المدية وربطوا بين المد والجزر وأوجه القمر . وللمسعودي رسالة في البحار والجبال والمد والجزر لم تصلنا ولكن يشار إليها في كلام القدماء .

ويصف أبو الفدا المد الفيضي بقوله « وزيادة الماء في المد تكون في ليلة ١٣ وليلة ١٤ وليلة ١٥ (من الشهر العربي) وفي هذه الليالي يفيض الماء فيضا كبيرا ويصل إلى أمكنة لا يصل إليها إلا في تلك الليالي من الشهر الآتي . وهذا يراه أهل المغرب مشاهدة لا افتراء فيه ويسمون هذا المد فيضا » وهذا الاصطلاح (٧) في نظرنا يؤدي المعنى بأدق مما يؤديه الاصطلاح الانجليزي المرادف وهو Spring Tide والعرب كانوا أول من أفـاد من قوى المد والجزر في إدارة الطواحين وبذلك فقد سبقوا أوربا بنحو ثلاثة أو أربعة قرون . إذ لم يعرف الأوروبيين هذه الخاصية قبل القرن الثالث عشر الميلادي . ولا يسعنا في هذا المقام سوى الاستشهاد بكلام المقدسي (٩٨٥ م) الذي يقول في معرض الحديث عن اقليم العراق ما نصه :

« والجزر والمد أعجوبة على أهل البصرة ونعمة يزورهم الماء في كل يوم وليلة مرتين ويدخل الأنهار ويسقي البساتين ويحمل السفن إلى القرى . فاذا جزر أفاد عمل الأرحية (جمع رحي وهو الطاحونة) لأنها على أفواه الأنهار ، فإذا خرج الماء ادارها ، وبلغ الماء إلى حدود البطائح ، وله وقت يدور مع دور الأهلة » .

ويقسم المسعودي البحار – تبعا لارتفاع الذبذبة المدية فيها إلى أنواع ثلاثة فيقول في مروج الذهب أيضاً : « ان منها ما يأتي الجزر والمد فيه ويظهر بيّنا ، ومنها ما لا يتبين فيه الجزر والمد ويكون مستقرا ، ومنها ما لا يجزر ولا يمد » □

هوامش

١ – أنظر : أنور عبد العليم : الملاحة وعلوم البحار عند العرب – الكتاب رقم ١٣ من عالم المعرفة إصدار المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب بالكويت – يناير ١٩٧٩ م .

٢ – الفرسخ = ٦٢٠٥ ياردة ، والميل العربي = ٢ كيلومتر تقريبا .

٣ – النوتي : كلمة لاتينية تعني البحار دخلت العربية منذ ذلك العهد .

٤ – أصحاب الأرحل : الرحل تعني النقل وكان الأسطول الذي يربط افريقية بالأندلس يسمى بالرحل الأندلسي وهو يعني بحارة الأسطول .

٥ – هو « ليو » LEO وكان عبدا مملوكا لأمير طرابلس وكان مسيحيا وأسلم ونبغ في فنون الحرب البحرية حتى صار قائدا للحملة البحرية التي شنها المسلمون على سالونيك .

٦ – أنظر بحثنا المنشور في مجلة أعماق المحيطات/مجلد ١٤ ص/٤٥٩ – ٤٦٣ لسنة ١٩٦٧ م .

٧ – استخدم الشريف الأدريسي (٤٩٣ – ٥٦٥ هـ) هو الآخر مصطلحات بحرية دقيقة في كتابه المعروف باسم « نزهة المشتاق في اختراق الآفاق » الذي كتبه في بلرمه بصقليه ومن ذلك استخدامه لكلمة « الأقاصير » للدلالة على الشطوط الرملية التي تعوق الملاحة في الموانئ وهي التي تعرف في الغرب بأسماء مختلفة مثل« Sand Banks »(انجليزية) « Haut Fonds »(فرنسية) أو « Sandgrund »(المانية) .

جولة في ..

ربوع عاصمة الأمويين بالأندلس

بقلم : ابراهيم أحمد الشنطي / هيئة التحرير

أبكيك قرطبة ، والقدس في خلدي، وفي فؤادي دمٌ ينزو ويعتصرُ
هل كنت حاضرةً ، للعرب ، زاهرةً أم كنت حاضرةً تنمو وتحتضرُ
تناوشتك يدُ الأحداث غاضبةً ، أغاظها منكِ يا "زهراءُ" ما خبروا
يا ليتنا مرةً ، في العمر ، واحدةً بما جرى ، سالف الأيام ، نعتبرُ

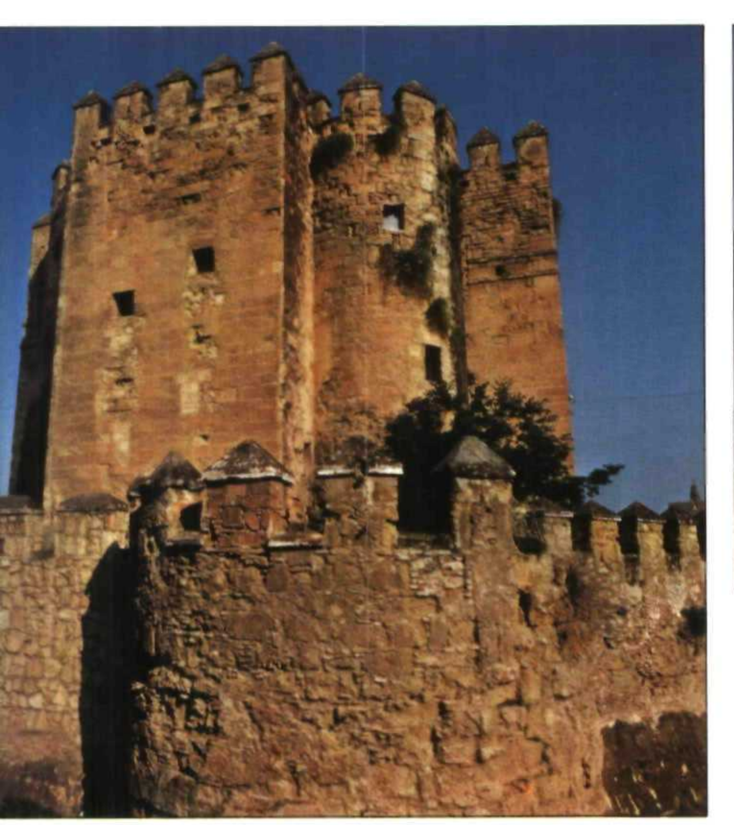
الحديث عن التاريخ مشوّق ، والحديث عن الأمجاد ممتع ، أما الحديث عن تاريخ العرب والمسلمين ومجدهم السالف في الأندلس فشجيّ مؤلم .

ولقد أسهب الكتاب والمؤرخون في الحديث عن الأندلس حتى لم يبق شيء مخبوء إلا نقبوا عنه وكشفوه ، وشرحوا ما خفي من رموزه وغوامضه . وإن كان من نافلة القول أن نتحدث عن موقع اسبانيا على الخريطة ، فإنه من الواجب ، استيفاء للبحث ، الحديث عن الحال التي كانت عليها قبل دخول الإسلام إليها في عام ٧١١ ميلادية .

كانت اسبانيا ترزح ، في ذلك الوقت ، تحت حكم قبائل المانية غازية تضطهد أهلها وتضيق عليهم ، وكان هناك ما يشبه الحرب الأهلية ، الأمر الذي دعا بعض الاسبان إلى طلب النجدة من المسلمين المقيمين بالبر الأفريقي قبالة ساحل اسبانيا الجنوبي . فأرسل موسى ابن نصير ، قائد جيوش المسلمين في المغرب



سور قرطبة القديم وفي آخر الصورة « باب المدورة » .



« القلعة الحرة » على ضفة نهر الوادي الكبير بالقرب من القنطرة الرومانية .

في ذلك الحين ، قائده المظفر طارق بن زياد فعبر المضيق ، الذي سمي فيما بعد باسمه ، على رأس جيش قوي . ولما نزل بالبر الاسباني أحرق السفن التي حملته وجنوده ليضعهم أمام الأمر الواقع : إما النصر واما الشهادة . وساند الأهالي المضطهدون الجيش الإسلامي وأيده الله بنصره فانتصر . ولم يلبث أهالي شبه الجزيرة الايبيرية أن بدأوا يدخلون في دين الله لما رأوا فيه وفي أهله من كرم وسماحة ، فأخذ الدين الجديد ينتشر ، وجيوشه تتقدم إلى الشمال والشمال الشرقي ، حتى احتلت شبه الجزيرة الايبيرية وقسما من فرنسا ، ولم يكد يمضي على دخولها الأندلس أكثر من نصف قرن . ولعل في الخريطة المنشورة هنا ايضاحا كافيا لدولة المسلمين في الأندلس في عصور ازدهارها واضمحلالها .

تبلغ مساحة اسبانيا أكثر من نصف مليون كيلومتر مربع ، وعدد سكانها حاليا حوالي ٣٥ مليون نسمة . وكان العرب يطلقون عليها الأندلس ، أما اليوم فالأندلس هي احدى المقاطعات الجنوبية فيها . وعندما هاجر عبد الرحمن الداخل إلى الأندلس ، بعد سقوط الخلافة الأموية في بلاد الشام في أواسط القرن الثامن الميلادي ، أخذ يؤسس لاقامة دولة قوية في تلك البلاد ، وجعل عاصمتها قرطبة — الواقعة في وسط القسم الجنوبي من شبه الجزيرة الايبيرية . وما أن استتب له الأمر حتى قطع علاقته بدمشق واستقل بالحكم عنها ، وأخذ يطور في المدينة ، وأقام فيها « المسجد الجامع » الذي يعد من روائع العمارة الإسلامية في الشرق والغرب .

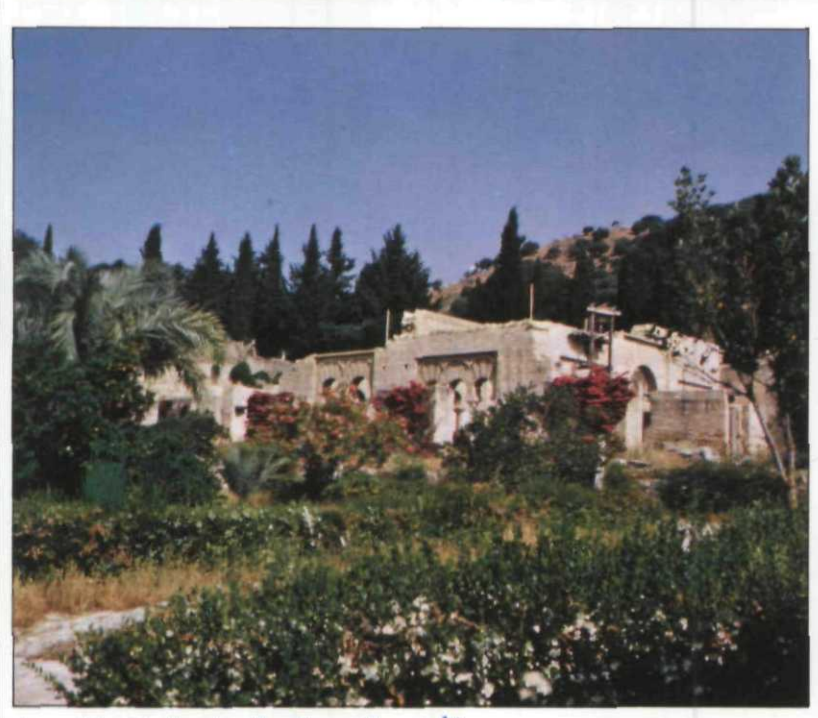
لقد بلغت قرطبة أوج ازدهارها لدى تأسيس الخلافة فيها خلال القرن العاشر الميلادي ، ويقال انه كان يقطنها حوالي نصف مليون نسمة ، وفيها ٣٠٠٠ مسجد وذلك خلال حكم عبد الرحمن الثالث . أما اليوم ففيها حوالي ربع مليون نسمة ومسجد واحد صغير ، سيأتي الحديث عنه فيما بعد .



قطعة من بلاط الموزاييك المصنوعة حديثا . وعليها نقش معكوس ومقلوب وهي مستخدمة في المرافق الصحية في الفندق .. ويبدو أن النقش عليها هو بيت من الشعر صدره « تمد لها الجوزاء كف مصافح » .



ثلاثة عقود اسلامية في خرائب الزهراء حيث بدأت إدارة الآثار الاسبانية بالكشف عنها والاهتمام بها .



الأرض الخصبة والمياه المتوفرة تبقي على الأشجار خضراء مورقة بين آثار الزهراء الدارسة .

قرطبة

كانت قرطبة القديمة محاطة بسور روماني ، ولما جاء العرب رمموا ما كان متهدما منه وأضافوا إليه . وفي السور من الناحية الغربية ، باب واسع يقال ان بناءه يعود إلى « أوائل القرن الثالث عشر الميلادي » . وبالقرب من الباب « المدور — Almodovar » يوجد نصب تذكاري للفيلسوف الروماني « سنيكا — Seneca » الذي عاش في أوائل القرن الأول الميلادي .

والبلدة القديمة ، داخل السور ، ضيقة المسالك والدروب ، كالقدس القديمة ودمشق ، وهي نظيفة تكثر في شرفاتها ، وعلى جدران بيوتها ، الورود والزهور ، مصفوفة أو معلقة في أصص وقوارير . ومصابيحها معلقة على الجدران وذات شكل قديم وكأنها قناديل الزيت في سالف العصور . أما منازلها وبيوتها فذات صحن ، في الوسط ، تطل عليه سائر الحجرات . وفي هذا الصحن ، أو الباحة ، نافورة صغيرة والكثير من الورود والزهور إما مزروعة في أرض الباحة ، أو في قوارير فخارية .

وفي الأحياء القديمة عدد من النصب التذكارية للعلماء والشعراء والفلاسفة من أبنائها ، مسلمين وغير مسلمين . فهناك واحد لابن حزم وآخر لابن رشد ، وثالث لعبد الرحمن الغافقي — أقيم أمام كنيسة ، وغير ذلك كثير .

وقبالة المسجد الجامع من الجنوب يمر نهر « الوادي الكبير — Guadalquivir » من وسط قرطبة ومجراه هناك ضحل مهمل ، وتقوم عليه قناطر رومانية ، على طرفها ، القريب من المسجد ، بوابة رومانية أيضاً ، أما على الطرف الآخر فحصن يدعى « القلعة الحرة—Calahorra» وهي بناء من الحجر مرتفع يحيط به خندق عميق يبدو أنه كان يملأ بالماء إذا ما هوجمت القلعة ، ولاتزال جدران القلعة والمصاطب من حولها ثابتة متراصة ، وكأنه لم يمض على انشائها بضعة قرون ، على الرغم من أنها على حافة نهر جار .

وقد ورد ذكر قرطبة في المجلد الرابع من «معجم البلدان» ، قال ياقوت الحموي : « مدينة عظيمة بالأندلس وسط بلادها ، كانت سريرا لملكها وقصبتها ، وبها كانت ملوك بني أمية ، ومعدن الفضلاء ومنبع النبلاء من ذلك الصقع ، وبينها وبين البحر خمسة أيام » .

وقال ياقوت ان التاجر الموصلي ابن حوقل كان قد طرق تلك البلاد في حدود عام ٣٥٠ هـ فقال : « وأعظم مدينة بالأندلس قرطبة ،



نصب تذكاري لابن حزم القرطبي ، أقامته السلطات الاسبانية في السنوات الأخيرة .

وليس لها في المغرب شبيه في كثرة الأهل وسعة الرقعة ... وهي حصينة بسور من حجارة ، ولها بابان مشروعان في نفس السور إلى طريق الوادي من الرصافة ، وأبنيتها مشتبكة ... » .

وذكر ياقوت أن صفتها ظلت كذلك إلى « حدود سنة ٤٤٠ هـ » ، فانقضت مدة الأمويين وابن أبي عامر وظهر المتغلبون بالأندلس وقويت شوكة بني عباد وغيرهم واستولى كل أمير على ناحية ، وخلت قرطبة من سلطان يرجع إلى أمره ، وصار كل من قويت يده عمرت مدينته .. وخربت قرطبة بالجور عليها فعمرت اشبيلية ببني عباد ، عمارة صارت بها سرير ملك الأندلس .. وخربت قرطبة وصارت كاحدى المدن المتوسطة وقد رثوها فأكثروا فيها ، وممن تشوق إليها القاضي محمد بن أبي عيسى بن يحيى الليثي قاضي الجماعة بقرطبة فقال فيها :

ويل أمِّ ذكرايَ من وُرْقٍ مغردةٍ
على قضيبٍ بذات الجزع ميّاس
ردّدن شجواً شجا قلبي الخلي فقُل
في شجو ذي غربةٍ ناءٍ عن الناس
ذكّرنه الزمن الماضي بقرطبة
بين الأحبة في لهو وإيناس
هِجنَ الصبابة لولا هِمة شرُفتْ
فصيرت قلبه كالجندلِ القاسي

ثم يعدّد ياقوت بعض فضلائها وأدبائها وقضاتها ورواتها .

المسجد الجامع

لقد مرت عمارة المسجد الجامع في أربع مراحل متميزة ، أولاها ابتدأت عام ١٧٠ هـ (٧٨٥ م) واستغرقت نحو ثمانية أعوام ، وقد بدأ انشاء المسجد الجامع أيام حكم عبد الرحمن الداخل ، ثم أتمه ولده هشام من بعده ، وكان مربع الشكل ، وأقام له منارة . وكانت المرحلة الثانية في عهد عبد الرحمن بن الحكم وبدأت عام ٢١٨ هـ (٨٣٣ م) واستغرقت نحو ١٥ عاما ، فزاد فيه من الناحية الجنوبية ، باتجاه نهر الوادي الكبير ، تسعة عقود . وكانت التوسعة الثالثة أيام عبد الرحمن الناصر وولده الحكم (الثاني) المستنصر . وقد أقيمت خلال فترة حكمهما منارة مربعة الشكل مكان المنارة القديمة ، ومحراب جميل وقبة فخمة . ويقال بأن الزيادة تساوي ثلث مساحة المسجد . وقيل في وصف منارة الناصر : « ان لها أربعة عشر شباكا ذات عقود ، وتحتوي على سلمين احدهما للصعود والآخر للهبوط ، وفي أعلاها ثلاث تفاحات ، اثنتان من الذهب ، والثالثة من الفضة . وكانت إذا أرسلت الشمس أشعتها عليها تكاد تخطف الأبصار ببريقها » . وقيل عن المحراب الذي أقامه بأن بناءه استغرق أربعة أعوام وعملت له قبة فخمة ، زخرفت بفسيفساء بديعة ، واستقدم لها ، من قسطنطينية ، خبيرا بأعمال الفسيفساء (١) . أما المرحلة الرابعة فقام بها المنصور بن أبي عامر عام ٣٧٧ هـ (٩٨٧ م) وكانت توسعته من الناحية الشرقية حيث أضاف فيه عددا من العقود والأقواس ، وبذلك أصبحت مساحة المسجد الاجمالية بشكله المستطيل الحالي ٢٣٠٩١ مترا مربعا (١٢٩ م × ١٧٩ م) ويقول مصدر آخر ٢٤٣٠٠ متر مربع (١٣٥ م × ١٨٠ م) ، ويقول مصدر ثالث ٢٣٤٠٠ متر مربع (١٣٠ م × ١٨٠ م) .

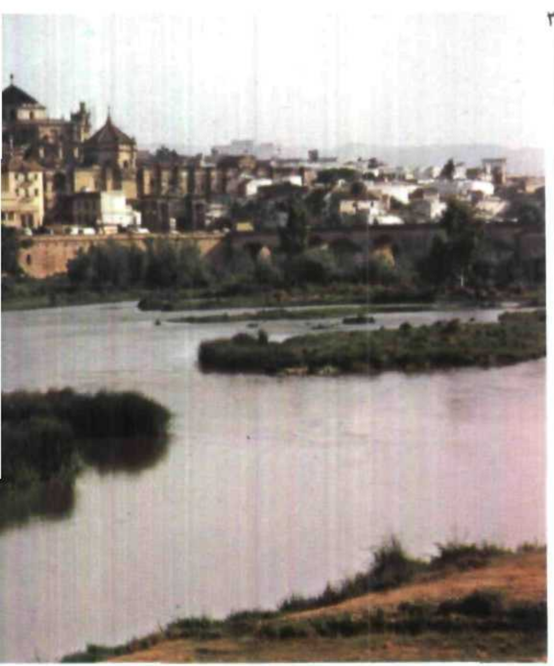
(١) « الآثار الأندلسية الباقية » ، محمد عبد الله عنان .



منارة مسجد قرطبة الكبير ،
وقد أصبحت برج أجراس .

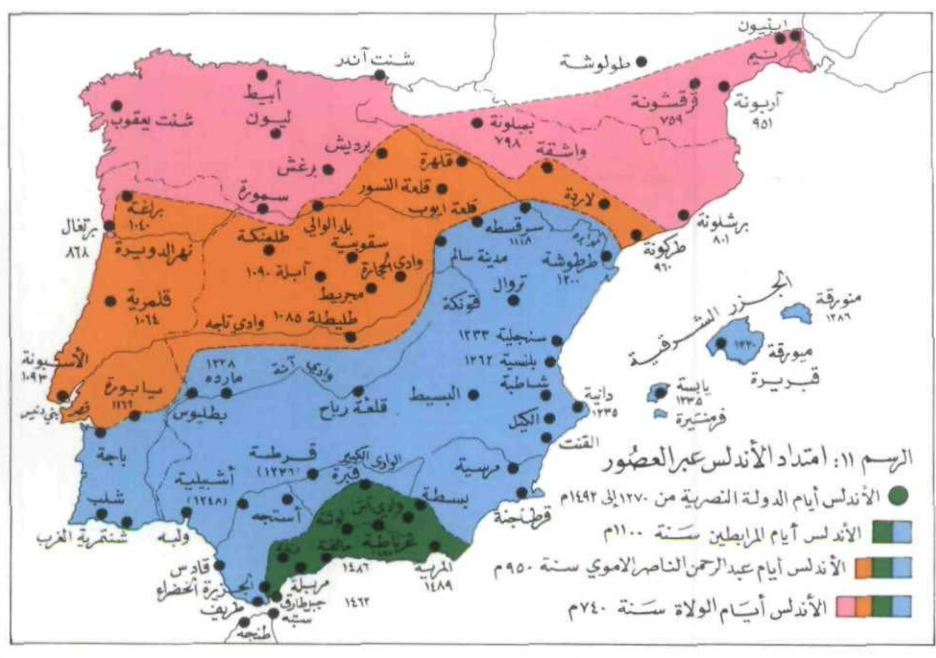
١

٣



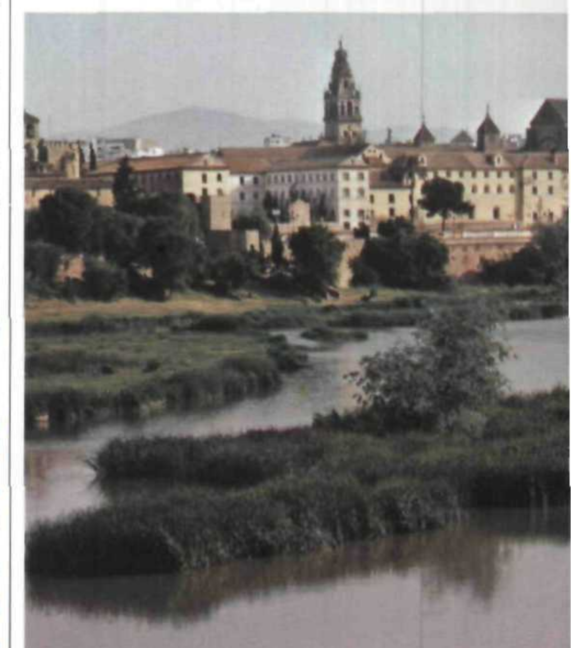
٢





امتداد الاندلس عبر العصور .





ويوجد داخل سور المسجد حديقة واسعة فيها نوافير وبعض أشجار البرتقال والنخيل ، وتكاد تشكل هذه الحديقة ثلث المساحة الاجمالية تقريبا ، وهي تقع بين المنارة — في الشمال ، والمسجد — في الجنوب . وتتكون المنارة من عدة طبقات ، ويبلغ عدد درجات سلّمها حوالي ٢١٤ درجة ، وقد صعدنا فيها نحو ٢٠٠ درجة ، وفي بعض طبقاتها مقصورات صغيرة خاصة بهدايا الزوار .

ولما احتل النصاري قرطبة غيّروا الجزء العلوي من المنارة ووضعوا ثلاثة نواقيس في كل جانب ، ثم زادوا فيها ووضعوا ناقوسا في كل من جوانبها الأربعة ، ثم ارتقوا أكثر ونصبوا ناقوسا واحدا كبيرا .

وتقول بعض المصادر التاريخية إن المنارة الحالية ليست هي الأصلية ففي عام ١٥٩٣ م هدمت الأصلية وأقيم مكانها البرج الحالي ذو النواقيس ولكن بناءه جاء على غرار المنارة وتصميمها . ولربما الذي هدم ، من المنارة ، هو القسم العلوي منها ثم زيد على القاعدة حسبما رؤي في ذلك الوقت .

وكان المسجد الجامع علاوة على المقصد الأول من انشائه ، مركزا لجامعة قرطبة ، تعقد فيه حلقات الدرس والوعظ والحديث ومجالس القضاء والأعلام . أما اليوم فهو أثر سياحي يقصده الزوار .

وعندما استولى القشتاليون النصارى على قرطبة عام ١٢٣٦ م . حوّلوا المسجد إلى كنيسة كبيرة « كتدرائية » فغيروا بعضا من معالمه الداخلية . ويرى الزائر له اليوم عددا من الكنائس موزعة هنا وهناك ، ومنها ما هو كثير النقوش ، ومنها ما هو قليلها .

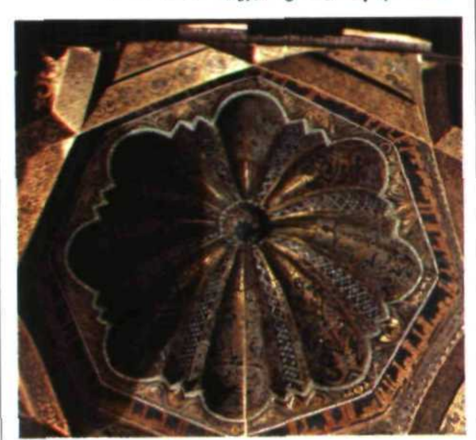
ويخيل للداخل إلى المسجد أنه في غابة من العقود والأعمدة التي لا آخر لها ، يطوف بينها مأخوذا بفخامتها ونقوشها التي لايزال الكثير منها يحتفظ برونقه على الرغم من مرور قرون طويلة على انشائها . ولولا أن الاضاءة فيه ضعيفة والأرض غير مفروشة لخيل للزائر أن الناس لايزالون يؤمون المسجد للصلاة فيه . والواقع أن الرؤية لم تكن هكذا ضعيفة أيام المسلمين ، علما بأنه لم يكن هنا مصابيح كهربائية ، والسبب في ذلك هو الاضافات والتحويرات النصرانية قد سدت بعض منافذ النور التي كانت تنفذ أشعة الشمس منها خلال النهار .

١ — أعمدة وأقواس فوق أحد مداخل المسجد ، لاتزال نقوشها تشهد للمعماري المسلم بالحذق والمهارة .

٢ — منظر عام لجانب من مدينة قرطبة . وفي مقدمة الصورة من اليسار زاوية المسجد القديم فبعض المباني القديمة فالمباني الحديثة في المؤخرة . ويبدو ، إلى اليمين ، كاتب المقال في شرفة الجزء الأول من منارة المسجد .

٣ — مسجد قرطبة الكبير كما يبدو من خلف نهر الوادي وتظهر فيه الأعشاب والنباتات ترتفع وسط مياهه الضحلة .

وإذا ما اجتاز المرء غابة الأعمدة متجها إلى المحراب فانه سيشاهد روائع الفن المعماري الإسلامي والنقوش الرائعة والآيات القرآنية المكتوبة بالخط الكوفي الهندسي الجميل ، ولا يملك إلا أن يقف أمامها مشدوها متأملا متفكرا . وانه ليصعب على الكاتب أن يصف ما يشاهده حقيقة ، إلا إذا كان جالسا في المكان .. تحت تلك القباب والعقود وبين الأعمدة .



قبة المسجد من الداخل ، أمام المحراب . والقبة والمحراب مزدانان بالآيات القرآنية والنقوش الجميلة التي تعبر عن مهارة الفنانين المسلمين في تلك العصور البائدة .

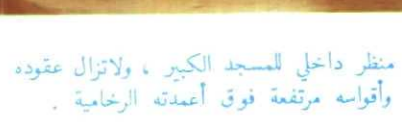
وكان ممن وصف هذا المسجد الوزير المغربي محمد بن عبد الوهاب الغساني ، وكان قد زار قرطبة عام ١١٠٢ هـ فقال : « وهو مسجد كبير جدا في غاية الاتقان وحسن البناء ، وبداخله ١٣٦٠ سارية كلها من الرخام الأبيض ، وبين كل سارية وأخرى قوس فوق قوس آخر ، وله من الأبواب أربعة عشر بابا ، وقد سد كثير من الأبواب وغيرها . ومحرابه الإسلامي باق على حاله لم يتغير ، ولم يحدث فيه شيء إلا أنهم جعلوا عليه شباكا من نحاس ، ولم يزد بداخله ولا بحائطه شيء قليل ولا كثير . ولهذا المسجد صحن كبير جدا مشتمل على خصة (حوض) ماء في وسطه ويدور بها في سائر الصحن من أشجار النارنج مائة وسبعة عشرة شجرة . ويقابل موضع المحراب من الصحن منار للمسجد ، وهو منار كبير مبني بالحجارة إلا أنه ليس بغاية الارتفاع كمنار طليطلة واشبيلية . ومازال سقف المسجد وأبوابه باقية على حالها . وقد أحدث النصارى بوسط هذا المسجد ، مقابلا لمحرابه ، قبة كبيرة مربعة ، مشبكة بشبابيك من نحاس أصفر ... وأبواب هذا المسجد باقية على حالها من البناء الأول والنقش بالكتابة العربية . وهذا المسجد هو أكبر مساجد الدنيا وأعظمها صيتا » (١) .

وممن وصف المسجد كذلك الغزال الفاسي ، سفير سلطان المغرب إلى ملك اسبانيا كارلوس الثالث . وكان الغزال قد زار قرطبة عام ١١٧٩ هـ فقال : « ومنذ عبرنا هذا المسجد ، لم تفتر لنا عبرة ، مما شاهدنا من عظمته ، وتذكرنا ما كان عليه الإسلام ، وما قرئ فيه من العلوم ، وتليت فيه من الآيات ، وأقيمت به من الصلوات . وقد تخيل في الفكر أن حيطان المسجد وسواريه تسلم علينا ، وتهش لنا ، من شدة ما وجدنا من الأسف ، حتى صرنا نخاطب الجمادات ، ونعانق كل سارية ، ونقبل سواري المسجد وجداره » (١) .

وقد يبدو المسجد الجامع بقرطبة من الخارج وكأنه قلعة حربية ، ففي الناحية الجنوبية ، قبالة نهر الوادي الكبير ، لا يوجد للمسجد أبواب ، بينما يوجد بعضها في الناحية الغربية . أما في الناحية الشرقية ، حيث كانت توسعة المنصور ، فيوجد عدة أبواب ذات عقود جميلة جدا وأعمدة صغيرة فوقها ، وفيها نقوش كالدوالي وكتابات كوفية يستطيع المرء قراءة بعضها على الرغم من قدم عهدها وتلف الكثير منها . أما الباب الرئيسي للمسجد فهو الذي قرب المنارة ، أي برج الأجراس حاليا ، ويسمى باب الغفران — Puerta del Perdon وهو يفضي إلى الحديقة ، ومنها إلى مبنى المسجد حيث يوجد الباب المستعمل حاليا . وجدران المسجد من الخارج والداخل ، وكذلك أبوابه ونوافذه تحتاج للاصلاح والترميم ، وإعادة الكثير من النقوش والزخارف إلى حالتها الأصلية .







منظر داخلي للمسجد الكبير ، ولاتزال عقوده وأقواسه مرتفعة فوق أعمدته الرخامية .

القصر

إلى الغرب من المسجد الجامع توجد حدائق « القصر » وهي عبارة عن مجموعة من الحدائق الجميلة المنسقة ذات الزهور والورود المتنوعة ، وفيها برك ذات نوافير ، على جنباتها ، يندفع منها الماء مائلا مرتفعا ليصب في وسطها . ويقال ان البناء الحالي ، الذي بها ، أقيم عام ١٣٢٨ م بأمر الملك الفونس الحادي عشر ، وكان من قبل قصورا وحدائق للأمراء الأمويين في قرطبة ، وكان يربط بين القصر والمسجد طريق مسقوف . وقد مر بهذا المكان الكثير من التغيير ، على مدى العصور السالفة ، فهدم وعمر وأصلح وزيد فيه حتى لم يبق من الأصل شيء يعرف . وهو اليوم حديقة عامة يزوره السياح والأهلون ، فيجلسون في ظلال أشجاره المنسقة مستمتعين بالمناظر الطبيعية الخلابة . والداخل إلى هذه الحدائق ينزل إليها على درج عريض من الحجر ، وأرضها منبسطة تشرف على الضفة الشمالية لنهر الوادي الكبير . والسلطات الأسبانية تحافظ على نظافة الحديقة ، وترعاها وتنسق أشجارها وزهورها . وإلى يسار الداخل إليها متحف صغير فيه بعض الآثار من العصور الخوالي .

مدينة الزهراء

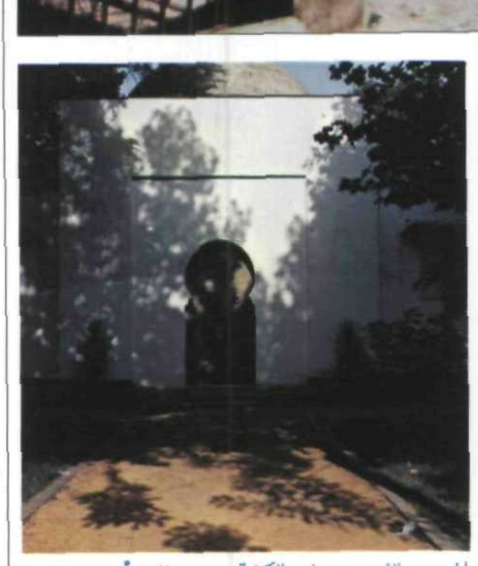
عندما استقلت الأندلس عن المشرق باعلان الخلافة الأموية فيها عام ٣١٧ هـ (٩٢٩ م) شعر عبد الرحمن الناصر لدين الله أن قصره في قرطبة ذاتها لا يتناسب وأبهة الخلافة وعظمة الملك . فجمع وزراءه ومستشاريه لاقامة ضاحية تليق به ، وتكون ذات بناء حديث يتفق ومتطلبات الحكم . وبعد مشاورات تقرر أن يكون البناء في الضاحية الشمالية الغربية لقرطبة في أسفل « جبل العروس — Yebel al-Arus » على مسافة بضعة كيلومترات من العاصمة ، بحيث يشرف عليها وعلى نهر الوادي الكبير ، الذي يخترق السهل الفسيح ، أمام جبل العروس ، مارا بقرطبة .

وفي اليوم الأول من محرم عام ٣٢٥ هـ (١٩ نوفمبر ٩٣٦ م) ابتدىء بانشاء تلك الضاحية ، بعد أن أحضر لها كبار المعماريين وخصص لها الأموال الطائلة ، ويقال ان أعمال الانشاء استمرت طوال حكم الناصر الذي استمر إلى عام ٣٥٠ هـ . ثم أكمل البناء من بعده ولده الحكم المستنصر .

منظران لحدائق القصر ، في قرطبة ، وهي على مقربة من المسجد الكبير ونهر الوادي الكبير .



عمدة رخامية ذات تيجان مزركشة فوقها عقود تعلوها أقواس صغيرة ، إنها روائع من فن العمارة الإسلامية في الأندلس ، لاتزال تؤثر على هندسة البناء الحديث في تلك البلاد .



المسجد الذي بناه الكابتن صالح أحمد ويقوم وسط حديقة كولون وتقام فيه الصلاة يوميا .

وتذكر المصادر التاريخية الكثير عن انشاء هذه الضاحية والمواد التي استعملت فيها والبنائين وأجورهم وكثيرا من التواريخ الخاصة بانجاز كل عمل فيها . وذكرت بعض هذه المصادر بأن مسلمة بن عبد الله كان كبير المعماريين الذين أشرفوا عليها وأن ناظر البنائين كان يدعى عبد الله بن يونس يساعده علي بن جعفر الاسكندراني وآخر يدعى حسن القرطبي .

ويقال بأن أعمدة الرخام التي أقيمت فيها بلغت نحو أربعة آلاف عمود جيء بها من الجبل الواقع إلى الشمال من قرطبة على مسافة كيلومترات معدودة ولونها يميل إلى الزرقة ، أما الأعمدة الزهرية اللون فقد جيء بها من جبال « الكبرة » على مسافة ٧٠ كيلومترا إلى الجنوب من العاصمة قرطبة . كما جيء بأعمدة رخامية أخرى من أقطار بعيدة ، نقلت إليها بحرا وبراً .

وتبلغ مساحة الأرض التي أقيمت الزهراء عليها نحو ١٢٠ هكتارا (١٥٠٠ م × ٧٥٠ م) ويحيط بها جدار سميك من جميع الجهات وكان مدخلها الرئيسي في وسط الجدار الجنوبي ويدعى « باب القبة » وباب آخر من الشرق ويدعى « باب الشمس » وثالث صغير من الشمال ويدعى « باب الجبل » الذي يطل على سفح جبل العروس ، وهوالذي يدخل الزوار منه اليوم إلى مدينة الزهراء . وتتشكل أرض الزهراء من ثلاثة مسطحات يرتفع الواحد منها عن الآخر قليلا . وفي الأوسط منها أقيم قصر الخلافة ، وقريبا منه مكاتب الإدارة ثم المسجد والسوق والحدائق والبرك . وإلى الغرب أقيمت مساكن الحاشية والوزراء وكبار الجند والشعراء وغيرهم ، ويقال إن عدد الذين كانوا يقيمون فيها يبلغ نحو عشرين ألفا .

غير أن عهد الزهراء لم يدم طويلا — أقل من نصف قرن ، وذلك عندما استأثر الوزير محمد بن أبي عامر الحاجب (المنصور) بالحكم دون الخليفة هشام بن الحكم ، ونقل مكان الحكم إلى موقع آخر على الضفة الجنوبية من نهر الوادي الكبير ، إلى الجنوب من قرطبة وذلك سنة ٣٦٨ هـ (٩٧٨ م) . وقد أسمى تلك الضاحية « المدينة الزاهرة » . ولما توفي المنصور عام ١٠٠٢ م خلفه ابنه المظفر الذي توفي بعد سبع سنوات فخلفه أخوه عبد الرحمن الذي أجبر الخليفة هشام — وكان ليس له أولاد — على توقيع وثيقة توصي بولاية العهد لعبد الرحمن هذا .

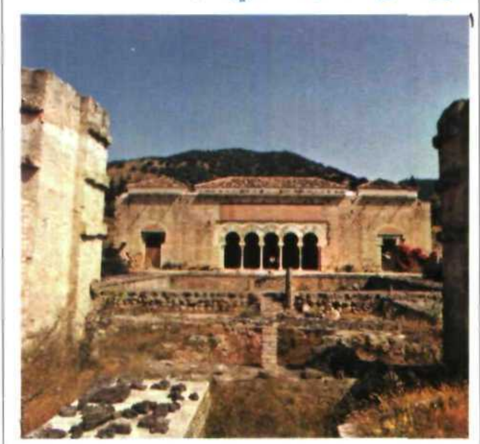
هنالك قامت فتنة في البلاد واستنجد بعض الأمراء الأمويين بالقشتاليين النصارى وقام الجند

١ — دار الملك في مدينة الزهراء وأمامها بركة واسعة وآثار من الحجارة عليها نقوش وكتابات جميلة .

٢ — أخـذ هذا المنظر للمسجد الكبير من فوق الشرفة الأولى للمئذنة ويبدو في مقدمة الصورة جانب من حديقة البرتقال التي تفصل المسجد عن المنارة .

٣ — القنطرة الرومانية على نهر الوادي الكبير الذي يخترق قرطبة وهو في تلك المنطقة ضحل مهمل وقد أخذت الصورة في شهر مايو ١٩٨٢ م .

٤ — ساقيـة رومانية على نهر الوادي الكبير على مقربة من المسجد الكبير .



البربر بالاستيلاء على مدينة « الزهراء » وخربوها وأحرقوها خلال عام ١٠١٠ م . وبعد تلك الحادثة لم تقم للزهراء قائمة ، وتعاقب عليها اللصوص فنهبوا ما بقي منها . ولما استولى فرديناند الثالث على قرطبة عام ١٢٣٦ م كانت الزهراء قد تهدمت تقريبا ، فأخذ المحتلون ينقلون أعمدتها وحجارتها لاقامة المعابد والقصور والأديرة ، وعفا عليها الدهر حتى أوائل القرن الحالي ، عندما بدأت أعمال التنقيب عن آثارها برعاية « المعهد الوطني للآثار » وبالتعاون مع معهد الفنون والمهن في قرطبة . ثم توقفت الحفريات واستؤنفت بعد ذلك أكثر من مرة ولاتزال جارية إلى الآن .

والزائر لمدينة الزهراء ، في الوقت الحاضر ، يشاهد الكثير من أطلال القصور والمباني الدارسة ، والعقود المحطمة والنقوش والزخارف التي يحاول علماء الآثار تجميعها وترقيعها لتشابه ما كانت عليه في السابق . وفي بهو دار الملك وأمامها وحول البركة ، على أمتار منها ، يشاهد الزائر الكثير من الحجارة المحطمة والمهشمة ذات الزركشات الجميلة والنقوش البديعة تكاد تنطق ، ولا نطق ، فتروي ما مر بها من أحداث وما حلّ بأهلها من مصائب . وربما يرجع المرء بذهنه إلى الوراء فيتخيل تلك الأيام السالفة والحال التي كان عليها المسلمون في أوج عزهم ، وقد يسرح به الخيال وهو يجول بناظريه بين تلك الخرائب فلا يستطيع أن ينقل قدميه خشية التعثر بتلك الآثار وربما يدهمه احساس بالمجد المفقود فيهتز شعوره وتخنقه عبراته فلا يستطيع أن يرفع رأسه حياء من التاريخ الذي يهتف به من شاهق :

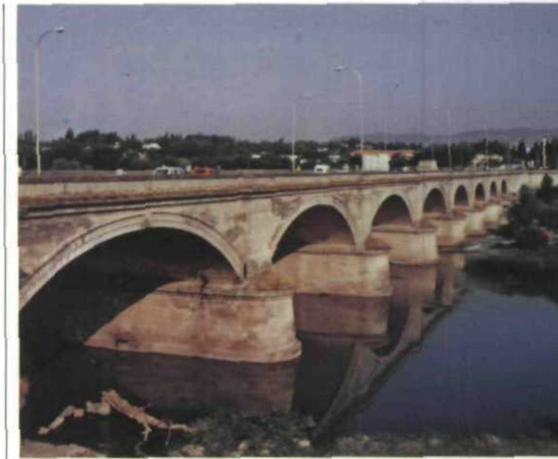
قف مكانك أيها الزائر لا تخط المزيد ،
وادر وجهك نحوي ،
إرفع الرأس قليـلا ،
ثم قل لي ما تريد ،
ما الذي عندي أتى بك ! ؟

الجالية الاسلامية في قرطبة

يوجد حاليـا في قرطبة جالية اسلاميـة صغيرة ، بضع عشرات ، معظمهم من أصل عربي ، ومن المغرب خاصة ، ومنهم الطلاب أو ذوو الأعمال التجاريـة المتواضعـة . وقد التقينا في قرطبة ببعض الباكستانيين العاملين هناك ، وبعض المسلمين من الاسبان وزرنا أكثر من مكان لهم . وحبذا لو يتوفر من يجمع كلمتهم فيتحدون ويبرزون ، إذ أن أفراد هذه الجالية الآن قلة لا أثر لها ولا تأثير .



٣



٤



وقد زرنا مركز « جمعية قرطبة الإسلامية » وهو عبارة عن شقة متواضعة في عمارة كبيرة بوسط قرطبة ، فيها مكان اتخذ كمسجد يؤدي فيه الصلاة القائمون عليه وبضعة نفر آخرون ممن يقيمون على مقربة منه . وقد حاولت هذه الجمعية استرجاع أحد المساجد الإسلامية الأثرية وسارت في سبيل ذلك ، كما قيل لنا ، شوطا بعيدا إلا أن الأمور تعثرت ، وحال بعض الرهبان دون اتمام الأمر . وذكر لنا رئيس الجمعية ، الذي التقينا به في المغرب وكان موجودا هناك أثناء زيارتنا لقرطبة والرباط ، بأنهم عدلوا عن اتمام عملية ترميم المسجد القديم وهم الآن يفكرون في شراء قطعة أرض يقيمون عليها مسجدا حديثا .

وزرنا كذلك مسجدا حديث البناء يقع وسط حديقة عامة في وسط قرطبة ، وتقوم في كل من زوايا الحديقة الأربع مدرسة للطلاب . وذكر لنا القائم على هذا المسجد ، وهو باكستاني ، بأن الذي أقام هذا البناء ضابط مغربي مسلم كان مع الجنرال « فرانكو » أيام الحرب الأهلية ويدعى الكابتن صالح أحمد وكان ذلك عام ١٩٣٨ م . ولما توفي الكابتن صالح أهمل المسجد ، إلى أن جاء ، من مدريد في عام ١٩٨١ م ، مسلم اسباني يدعى الفارو أحمد عبد الله وأصلحه وفرشه . وقيل لنا بأن الأذان يرفع في المسجد كل موعد صلاة ويصلى فيه ، ويحضر صلاة الجمعة فيه بين العشرة والعشرين شخصا ، وفيه مكان للنساء ومرافق صحية .

وقد ذكر لنا إمام « جمعية قرطبة الإسلامية » انهم بحاجة لبعض الكتب المبسطة باللغة الاسبانية تبين طريقة الوضوء وأركان الصلاة وما إلى ذلك مما يجب أن يعرفه المسلم . كما قال إنهم بصدد افتتاح فصول دراسية لبيان هذه الأمور ولتدريس اللغة العربية لأطفال المسلمين وللراغبين من الكبار . كما أنهم بصدد إصدار مجلة دورية باسم « صوت قرطبة الإسلامي » . وذكر لنا أنهم اشتروا بيتا من ثلاثة طوابق به نحو عشرين غرفة ، وسيكون هذا البيت مركزا للدعوة الإسلامية ، وقد أسموه « دار القرآن والحديث » .

أما عن حاجتهم لدعم الدعوة الإسلامية في قرطبة فقد ذكروا لنا أنهم بحاجة إلى معلم أو اثنين لتعليم القرآن والحديث على أن يكون لديهما إلمام باللغة الاسبانية ، وكذلك إلى ايجاد مكتبة صغيرة بها بعض الكتب المتعلقة بتعليم الدين الإسلامي وفرائضه على أن تكون بالعربية والاسبانية وإذا أمكن بالانجليزية . كما أنهم يتطلعون إلى انشاء مركز اسلامي ثقافي فيه بعض المرافق لهذه الجالية الإسلامية التي يتوقعون أن يتنامى أفرادها بسرعة في المستقبل .

وهناك أيضاً مجموعة أو أكثر تتكون من بضعة أفراد يحاولون اثبات وجودهم بامكاناتهم المحدودة ومعظمهم من العرب المسلمين ، والمسلمين غير الاسبانيين ، العاملين هناك بصفة موقتة .

وقد ذكر لنا بعض من قابلناهم أن هناك ميلا ، بين الاسبان ، لاعتناق الدين الإسلامي ، وأنهم بحاجة إلى دعاة متمرسين يجيدون اللغة الاسبانية ويحسنون طرح الدعوة الإسلامية بأسلوب منطقي رصين يدعو إلى سبيل الله بالحكمة والموعظة الحسنة . فالمجتمع الاسباني لاتزال فيه صفات طيبة ، مع ما يبدو فيه من ظواهر معاكسة اجتذبته إليها المدنية الغربية ، فانقاد لها عنصر الشباب ، من الجنسين ، انقياد الأعمى . على أن من أهم ما يجب أن يسلكه الدعاة ، وكذلك المسلمون ، المقيمون هناك ، هو أن يكونوا القدوة الحسنة في سلوكهم ومعاملتهم ، وأن يتخذوا من القرآن والسنة الأسس القويمة في سائر أعمالهم الحياتيــة والاجتماعية عامة □

تصوير : شيخ امين

العالم يبحث عن مصادر جديدة للغذاء

إعداد: علي حسن المرهون / هيئة التحرير

أصبح تأمين الغذاء الأساسي لسكان كوكب الأرض ، هماً كبيرا تنوء به دول العالم الثالث ، فسكان الأرض يتزايدون بنسبة هندسية ، بينما أخذت المساحات الخضر تتناقص هنا وهناك ، بفعل النشاط العمراني والصناعي . ويلاحظ المراقبون أن دولا كثيرة أصبحت تنوء ميزانياتها الضعيفة أصلا تحت وطأة أثمان الأغذية الأساسية المرتفعة التي تستوردها من الخارج .

ولا عجب أن نرى أن الدول الأكثر تقدما ، صناعيا ، هي الدول الأكثر انتاجا زراعيا ، فالزراعة الحديثة اليوم أصبحت مصنعة ، وأخذت تعتمد على منجزات العلم والتكنولوجيا بشكل أساسي في جميع مراحل العمليات الزراعية ابتداء من حراثة الأرض واختيار البذور إلى عملية الحصاد والتصنيع الغذائي والتسويق ، فالزراعة اليوم في العالم الصناعي ، هي أقرب إلى المشروع الصناعي .



التنمية الزراعية

واتضح الآن بعد التجربة والبيان أن التنمية الزراعية والريفية التي ارتكزت عليها النهضة الصناعية الغربية ، هي الحجر الأساس الذي بني فوقه هذا التفوق الاقتصادي الهائل في جميع مجالات الحياة .

وأدركت الدول النامية أن الطريق إلى التنمية الشاملة يبدأ بالتنمية الزراعيـــة . فهي العمود الفقري لكل النشاطات التجارية والصناعية ، بل هي الطريق العملي الوحيد لسد أفواه ملايين الجائعين الذين يتزايدون بنسب كبيرة في وقت أخذت أسواق الغذاء الدولي تشهد مزاحمة وشروطا اقتصادية صعبة بالاضافة إلى القيود والتغيرات الدولية التي تجعل من الغذاء ، ولاسيما القمح سلاحا في سوق المساومات الدولية وفي لعبة الأمم .

حقائق عامة

يتوقع تقرير البنك الدولي السنوي لعام أن يزيد العجز الغذائي لبلدان العـــالم الثالث على ١٥٠ مليون طن من الحبوب على أن يصيب معظم ذلك العجز البلدان الفقيرة في آسيا وافريقيا . ويبلغ الفقر في هذه البلدان حدا يعجزها عن استيراد الأغذية ، كما أن سكانها من الكثافة بحيث يصعب على بلدان العالم الغنية أن توفر الطعام لهم . ولا يمكن التخفيف من الآلام التي يخلفها هذا الفقر وسوء التغذية إلى جانب ما ينشأ من مشكلات اجتماعية واقتصادية إلا بتحسين أوضاع ملايين الفقراء في العالم . ويشكل استكشاف وامكانات جديدة في الزراعة احدى الوسائل التي تؤدي إلى تحسين الوضع الغذائي في العالم تحسينا طفيفا ، على الرغم من أن أية نباتات جديدة أو أية مصادر غذاء أخرى لن تكون الدواء الناجع لكل داء . وتوجد امكانات عديدة لانتاج الغذاء لم تستغل جيدا . وتتراوح بين تدجين حيوانات برية ، وتهجين سلالات نباتات جديدة انطلاقا من محاصيل تقليدية . وهناك سبيلان رئيسيان لانجاز ذلك : الأول هو زراعة بعض الأنواع الموجودة وغير المشهورة زراعة مكثفة على نطاق واسع ، والثـــاني هو تحسين قدرة الانسان على جني طعامه من البحار والمحيطات والأنهار .

محاصيل جديدة

بدأ علماء الزراعة يدركون أهمية ايجاد فصائل جديدة من المحاصيل فراحوا يدرسون ويحللون أنواعا جديدة من مختلف البلدان : وفيما يلي بعض الأنواع المبشرة بالخير :

* الفاصوليا المجنحة : التي تحتوي حبوبها على الزيت والبروتين بقدر ما تحتوي عليه حبوب الصويا . كما تحتوي جذورها النشوية على مقادير من البروتين تزيد أضعافا على ما تحتويه البطاطا . وتؤكل أزهارها الغضة . أما أوراقها فتعطي طعم السبانخ إذا طبخ .

* اللبلاب : الواسع الانتشار في المناطق الاستوائية ، لكنه شديد التنوع والتكيف مع سائر المناخات . ويعطي إذا ما تم طبخه وهو غض طبقا شهيا ، ويمكن طهو الأوراق والأزهار وأكلها كالسبانخ . ويمكن صنع مسحوق مركز غني بالبروتين من بذورها . أما النبتة بحد ذاتها فتشكل علفا جيدا وتغسية للأرض .



* الكوكويام : الذي تعتبر أمريكا الوسطى ، والجنوبية ، وغرب افريقيا ، مواطنه الأصلية . ويتمتع بقيمة غذائية مثل البطاطا وينبت في مختلف أنواع التربة ، كما يمكن زراعته على مختلف الارتفاعات .

* فاصوليا الماراما : التي تحتوي على نسب عالية من البروتين والطاقة ، ويمكنها أن تصبح في المستقبل أحد المحاصيل الهامة في المناطق شبه القاحلة . وتشكل حبوبها وجذورها ، إذا ما تم طبخه ، طبقا لذيذ الطعم ومغذيا . وتحتوي هذه الفاصوليا على البروتين بقدر ما تحتوي عليه الصويـــا ، كما تحتوي على الزيت بقدر ما يحتوي عليه الفول السوداني .

* القطيفة : التي تحتوي حبوبها على نسبة عالية جدا من البروتين . ويمكن سلق أوراقها واستهلاكها كالخضر . ولاتزال القطيفة الصلبة

تنبت في أمريكا اللاتينية . وتجرى التجارب عليها في الولايات المتحدة ، وتزداد انتشارا في بعض مناطق افريقيا وآسيا .

* قرع الجاموس : الذي كانت بذوره الغنية بالبروتين تشكل منذ أمد بعيد جزءا من غذاء قبائل الهنود في الغرب الأمريكي . وتصلح جذوره أيضاً للأكل ، ويبلغ وزنها أحيانا ٢٧ كيلوغراما . ويعتبر قرع الجاموس من النباتات القوية المعمرة التي تستطيع أن تزدهر في مناطق جافة وأن تعطي نتائج لا بأس بها حتى في الأراضي الضعيفة التربة . ويزرع هذا القرع اليوم في أجزاء من المكسيك ولبنان .

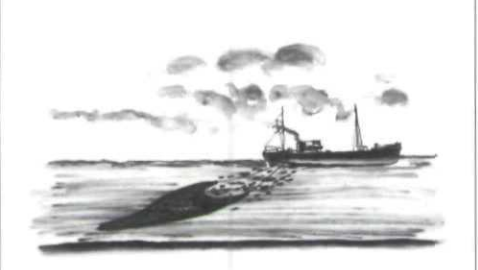


غــذاء من الميـاه

ليس من المتوقع أن يزداد انتاج الأسماك في العالم زيادة سريعة في القريب العاجل . وترتفع أعداد مختلف أنواع الأسماك عادة أو تهبط ، تبعا لتقلبات التيارات في المحيط ، أو بسبب الافراط في الصيد . وكلما استنزف بعض الأنواع اتسع المجال أمام أنواع أخرى لتزداد وتتكاثر . وتتعرض أنواع عديدة من بين أثمن أنواع الأسماك وأكثرها طلبا ، إما للاستغلال الكامل ، أو للاستنزاف في صيدها . ففي المحيط الهــادي نجد أن قطعان أسماك الأنشوجة ، والهايج ، والهلبوت (هيبوجلوسوس فولغاريس) والسلمون ، والسردين ، والتونة الكبيرة ، قد أصبحت إما مستغلة استغلالا كاملا ، أو تميل إلى الانقراض . وفي المحيط الأطلسي يفرطون في صيد الرنجة (كلوبيا هارينغوس) ، وقطعان القد إلى أقصى حد ممكن . أما في المحيط الهندي ، فيستغل القريدس والتونة الكبيرة استغلالا شبه كامل .

وإلى جانب ذلك أيضاً ، نجد أن كمية الأسماك المتوفرة لاستهلاك الآدميين ترتبط جزئيا بنسبة الأسماك التي يتم صيدها والتي تسحق وتدخل في تركيب علف سائر الحيوانات . ويستخدم اليوم حوالي ٣٠٪ من الصيد لصنع المسحوق السمكي .

ويتضح من كافة الاعتبارات التي ذكرت أن أية زيادة قد تطرأ على مساهمة الأسماك في تغذية الانسان خلال الثمانينات ، لن تتوقف على صيد المزيد منها بل على توزيع أفضل للأسماك التي يتم صيدها ، بتخفيض الكميات المبددة ، وتغيير الأنماط الحالية لاستهلاكها واستخدامها .



اتجاهات توزيع الثروة السمكيّة

وعلى صعيد عالمي ، قد تشهد الثمانينات نصيبا أكبر من الأسماك التي يتم صيدها في البلدان النامية ، بالمقارنة مع العقود الماضية . وقد تمكنت بلدان العالم الثالث إلى حد ما من تقليص عدد سفن الصيد الأجنبية التي ترتاد مياهها الاقليمية ، عن طريق توسيع حدود مياهها الاقليمية . وقد تتمكن الدول النامية من تغذية شعوبها ببعض الأسماك التي كانت أساطيل الدول المتقدمة تأخذها إلى بلادها لتحولها إلى مسحوق سمكي يدخل في تركيب علف الحيوان .

أما في داخل البلدان النامية ، فقد تشهد الثمانينات تركيزا أكبر على صيد الأسماك للاستهلاك الداخلي ، بدلا من الاستمرار في تطوير أساطيل صيد حديثة تصطاد القريدس والتونة مثلا لتصديرها .

لكن الوضع أخذ يتبدل منذ أواسط السبعينات ، إذ تركز اهتمام العديد من الدول النامية على حماية ثرواتها البحرية ، فزاد وعيها لأهمية تلك الثروات . وقد أصبح من الواضح الآن أنه يمكن استغلال الكثير من قطعان الأسماك الساحلية ، فضلا عن أسماك البحيرات والأنهار ، باستخدام معدات صيد بسيطة ، انطلاقا من الشاطىء أو من زوارق صغيرة . وتستطيع مصايد الأسماك التي تحتاج إلى يد عاملة كثيفة ، أن تستغل بنجاح قطعان من الأسماك قليلة العدد لا تبرر اقتناء أساطيل صيد تجارية تكلف رؤوس أموال كبيرة تفتقرهــا معظم الدول النامية .

الاستفادة من الصيد الثانوي

ويمكن زيادة الاستفادة من الصيد التجاري في البلدان النامية ، وجعل أسعار الأسماك في متناول السكان ، عن طريق استخدام أفضل أنواع الأسماك التي تدر ربحا أقل ، والتي تلتقطها أساطيل الصيد التجارية عن غير عمد . فقد تصطاد زوارق صيد القريدس التجارية مثلا ، كميات من الأسماك تزيد على القريدس من أربعة إلى عشرين ضعفا . لكن الكثير من هذا الصيد « الثانوي » ، الذي يبلغ حوالي خمسة ملايين طن سنويا في العالم ، يلقى في البحر من جديد ، لأن سعر هذه الأسماك لا يعادل سوى ١٠ إلى ٢٠ بالمئة من سعر القريدس ، أو لأن استغلاله تجاريا غير ممكن لسبب أو لآخر .

لكن استغلال الصيد الثانوي مع الأسف أسهل قولا منه فعلا . ومعلوم أن الهدف الرئيسي من صناعة القريدس في الدول النامية هو توفير الصادرات ، التي تدر اليوم حوالي ألف مليون دولار سنويا . ويعمل صيادو القريدس في هذا الحقل لصيد القريدس فقط . ويجنون ربحا أكثر عندما تحمل شباكهم القريدس فقط . أضف إلى ذلك أن مياه المناطق الاستوائية ، بخلاف مياه المناطق المعتدلة الشمالية ، تعطي غالبا أنواعا من الأسماك غير سائغة الطعم ، إلى جانب أنواع أخرى سامة تماما .

لكن ما يشجع على تحسين استغلال كميات الأسماك التي تصطادها الزوارق التجارية عن غير عمد ، هو أنها قد أصبحت سائغة وفي متناول اليد ، ولن يؤدي إلقاؤها ثانية في البحر إلا إلى تبديد الجهود التي بذلت لاصطيادها ، كما يحرم فقراء المستهلكين من مصدر بروتيني ثمين . والتحدي الذي يواجه البلدان النامية في المستقبل هو كيفية الجمع بين صيد الأسماك بأساليب تجارية واستغلال الصيد الثانوي .

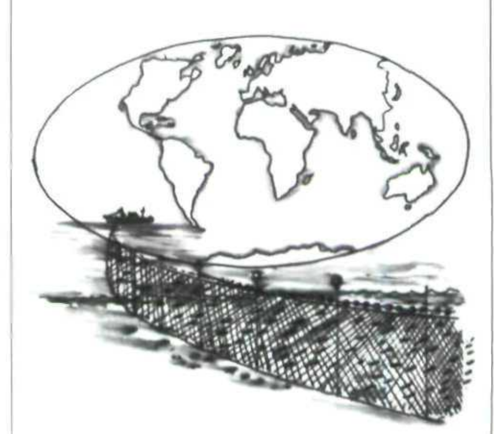
خسـائر ما بعـد الصيـد

ان ايجاد طريقة للاستفادة من الصيد الثانوي ، إلى جانب الاعتماد على صغار صيادي السمك ، يخلقان مشكلة لابد للدول الفقيرة من مواجهتها إذا ما أرادت أن تزيد صيدها البحري ، ألا وهي تخفيض الخسائر التي تحدث بعد الصيد .

ويعتبر حفظ الأسماك باستخدام أبسط تقنيات التبريد أو التجميد مثلا ، باهظ التكاليف بالنسبة لصغار الصيادين في موانىء الصيد

الصغيرة ، التي لا تصاد فيها سوى كميات قليلة . لذلك يباع بعض الصيد فورا في المناطق المجاورة ، بينما يعالج بعضه الآخر بالطرق التقليدية ، كالتدخين ، والتجفيف ، والتمليح ، والتخمير . لكن كافة هذه الطرق قد تهبط بقيمة الأسماك الغذائية ، وتجعلها عموما أقل جاذبية واثارة للشهية . أما ما يتبقى من الصيد ، فيلقى به باعتباره من النفايات .

وامكانات حفظ المزيد من الأسماك تشمل كل شيء : من التقنيات البسيطة كابعاد الصيد عن أشعة الشمس ، إلى التقنيات المتعددة لمعالجة الأسماك واستخراج مركزات البروتين السمكي ، وهي مسحوق غني بالبروتين يمكن استخدامه لتقوية مجموعة كاملة من الأغذية الأخرى . ولكن أكبر أمل في تخفيض خسائر ما بعد الصيد ، يتوقف على تكييف بعض التقنيات الحديثة لمعالجة الأسماك مع أوضاع بلدان العالم الثالث ، إلى جانب تحسين بعض التقنيات التقليدية ، مثل التدخين والتجفيف .

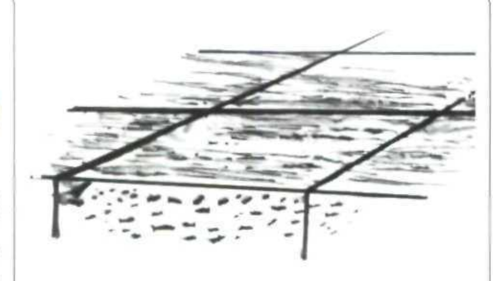


زيـادة المـوارد

ويمكن زيادة محاصيل البحر باستخدام افضل للصيد الثانوي ، وتبديد كميات أقل من الأسماك ، بالإضافة إلى استخدام تقنيات وصيد أنواع غير مألوفة مثل :

• الحبار ، يحتوي الحبار الصالح للأكل على نسبة عالية من البروتين . ويمكن اصطياده بوسائل مختلفة تناسب صغار الصيادين ، ولا تحتاج إلى تحضير على متن الزورق ، كما يمكن تجميده دون أن يفقد شيئا من خصائصه . ويعتبر شمال غرب المحيط الهادي أغزر مصدر للحبار ، حيث تصطاد اليابان وكوريا الجنوبية والصين حوالي مليون طن منه سنويا في الوقت الحالي .

• الكريل (ايوفارسيوس) ، الذي شهد صيده – أو حصاده ، حسب تعبير الفنيين – تطورا واسعا في المحيط المتجمد الجنوبي خلال السنوات الماضية . ويعتبر الكريل غذاء طبيعيا للعديد من أنواع الحوت . لذلك ازدادت امكانات حصاده مؤخرا بعد انخفاض أعداد الحوت في العالم .



زراعـة الأسماك

يعود تاريخ التجارب التي أجريت على بذر يرقات الأسماك المفقسة اصطناعيا من أجل اكثار قطعان السمك ، إلى القرن التاسع عشر .

وتمتاز زراعة الأسماك على صيدها التقليدي من عدة نواح :

• ان الأسماك حيوانات باردة الدم تتكيف مع حرارة المياه المحيطة بها بدلا من هدرها لتدفئة أجسامها . وهي أكثر فعالية في تحويل العلف إلى لحم من الماشية بثلاثين ضعفا من هذه الناحية .

• تنمو الأسماك بسرعة أكبر في المياه الدافئة . وتتضاعف سرعة نموها كلما ارتفعت حرارة المياه بمعدل عشر درجات مئوية . كما دلت على ذلك التجارب التي أجريت على الهلبوت في شواطئ سكوتلندا . لذلك تنطوي المياه الاستوائية الدافئة في البلدان النامية على امكانات هائلة لانتاج الأسماك .

• تعيش الأسماك في محيط مثلث الأبعاد ، مما يمكن من « الزراعة المتعددة » ، وهي طريقة تزرع فيها أنواع متعددة من الأسماك تعيش في الطبيعة على أعماق متعددة ، في كتلة مائية واحدة . فإذا زرعنا بركة مساحتها هكتار واحد بأنواع منسجمة من الأسماك ، حصلنا على انتاج هائل لأننا نحصد من أعماق مختلفة .

• لا تحتاج الأسماك إلا لمساحات ضئيلة ، شرط أن يبدل الماء دوريا وبصورة مناسبة . ويستطيع السلمون المرقط (ترويت) أن يبلغ حده الأقصى من النمو ، في مساحة مائية لا تتعدى حجمه . وفي مياه سنغافورة الساحلية ، أعطت أسماك بلح البحر (ميتيلوس) من البروتين في الهكتار الواحد ، خمسة أضعاف ما يعطيه فول الصويا .

• زراعة الأسماك أقرب إلى تربية الحيوان منها إلى صيدها . لذلك تلائم الزراعة أكثر مما تلائم صيد السمك التقليدي .

المراهنـة على الميـاه

يمكن زيادة محصول الأسماك المخصصة للاستهلاك البشري بمعدل يتراوح بين ٢٥ و ٣٠ مليون طن سنويا قبل نهاية القرن – إلى جانب الخمسين مليون طن المتوفرة حاليـا إذا تم تخصيص المزيد من الأسماك التي يتم صيدها لتغذية الانسان بدلا من اتخاذها علفا للحيوان ، وإذا ما استخدم الصيد الثانوي استخداما أفضل ، وخفضت الخسائر في الأسماك التي يتم صيدها ، وحسنت طريقة معالجة الأسماك وتوزيعها في البلدان النامية فأنه يمكننا أن نحصل على ما يربو على مئة مليون طن من الأسماك سنويا ، إذا عقدنا العزم على الاستثمار في زراعة الأسماك ، وزيادة استغلال مصادر الأسماك غير التقليدية مثل الكريل .

ويعتقد البعض أنه يمكن مضاعفة البروتين البحري ست أو سبع مرات . لكن مهما تكن هذه التكهنات مفرطة في التفاؤل ، يمكن ترجمتها إلى حقيقة شرط أن تتعلم كافة دول العالم كيف تسيطر على التلوث .

وأخيرا ... لقد آن الأوان لدول العالم العربي أن ترسم استراتيجية زراعية وغذائية شاملة ، تأخذ بعين الاعتبار أن الأمن الغذائي يأتي في الأولويات ، باعتباره السلاح الذي بامتلاكه يكون الفرق بين الحيـاة أو الاندثار في زمن أخذ الأقوياء فيه يلوحون بمصادر قوتهم □

المصـادر :

– مجلة الفيوشرست الأمريكية - (Futurist)

– تاريخ التطور الاقتصادي لدول أوروبا الغربية .

التلفاز

شعر : الراحل الياس قنصل / الارجنتين

مكانك ليس تملأه اداة … تنوّع في مقاطعها الحديدُ
شأوت سواك حظا وانتشارا … وانت بما تجود به فريدُ
تفوح جنانّك الغناء عطرا … لأقطفَ من زهورك ما أريدُ
يمرّ لديك بالنفحات وقتي … وأنعمُ بالسلام واستفيدُ
وسعتَ الأرض من شرقٍ وغرب … وزالت في سيادتكِ الحدودُ
عيوني عنك لا تنأى وسمعي … وفكري من سجلّك يستزيدُ

* * *

تنفّذ ما أروم بلا اعتراض … فأنت بما أرجّيه رهينُ
لبابك فيه ألوان التلهّي … ترافقها المعارف والفنونُ
تجدّ متى رأيت الجدّ قصدي … وتمزح حين يفرحني المجونُ
تحدثني بما أهوى كأني … بحرزك استعيذ واستعينُ
وتطربني بشدو مستحب … إذا ما ثار في نفسي الحنينُ
وان ابغِ الهدوء لمست زراً … فران على جوانحك السكونُ

* * *

فؤادك حين أفحصه جمادٌ … تغلّف بالقساوة والجفاءِ
ولكن في حناياه بحور … تموج بها عواطفُ من اخاءِ
فكم سلّيتني والدهر حولي … يلاحقني بأسباب العناءِ
وكم ابهجتني والحزن يرمي … سبيلي بالكوارث والشقاءِ
وكم أجليتَ عن قلبي شكوكا … تأذتْ من جهامتها سمائي
تسايرني ، وما يجديك مني … ثناءٌ فيه عائدة الجزاءِ

* * *

أنام وأنت تحدوني رفيقاً … وصوتك لا يخامره كلال
فان أعرضتُ عن نغم حنون … يحلّ محله قيل وقال
وما تغتاب عن كرهٍ وحقدٍ … وما يغريك في النقدِ الضلال
وفاؤك لا يدانيه وفاءٍ … وعطفك لا يقاربه مثال
ومنّي الأمرُ مهما كان صعبا … ومنك الاحترامُ والامتِثال
تخذتك من خصالك لي صديقا … تسامت في مودته الخصال

* * *

تزعمتَ المجالسَ والنوادي … وقيّدتَ البصائر والرقابا
وزحزحتَ الزعامة عن مداها … ولم تحسب لثورتها حسابا
فأنّى كان وضعك فهو صدر … وما تقضي به كان الصوابا
يراعي الناسُ رأيك باهتمام … ولو كانوا عداة أو صحابا
إذا وجهتَ دعوةَ مستجير … تحتّم أن يعان ويستجابا
وان اوقفت سيل البثّ حينا … تململت النفوسُ لك ارتقابا

الضغوط النفسية للحياة المعاصرة

بقلم : د. محمد فرغلي فرج / أبها

يعيش الانسان المعاصر في بيئة حافلة بالتغيرات السريعة ، والضغوط المختلفة والغموض والتوتر .. ويتصارع في نفوس البشر طموح للتقدم في مختلف المجالات ، تقابله صعاب ، وتنافس بين البشر على ما يستحق وما لا يستحق .

وليس هناك أدل على ذلك من تلك الزيادة الهائلة في أمراض العصر الناتجة عن التوتر النفسي والقلق .. مثل أمراض القلب وارتفاع ضغط الدم ، وقرحة الجهاز الهضمي وغيرها .. وهي أمراض كانت نادرة الحدوث منذ أقل من نصف قرن .

بل لقد أصبحت ضغوط الحياة أمرا معتادا نعايشه كل يوم ، كأنما هي جزء لا يتجزأ من طبيعة الحياة المعاصرة .. لدرجة أننا في كثير من الأحيان لا نكاد ندري بهذه الضغوط النفسية وبآثارها الصحية المدمرة .. تلك الآثار التي تنخر في الأبدان في صمت عجيب ، قد لا يستبين إلا بعد فوات وقت طويل وثمين .

والحقيقة ان التوتر النفسي ليس شرا كله .. بل ان درجة معتدلة من التوتر النفسي ضرورية للحياة .. فخلو الحياة النفسية تماما من التوتر النفسي يرادف في علم الصحة النفسية التبلد الوجداني — Apathy كتلك الحالة التي نشهدها عند مرضى الفصام العقلي — Schizophrenia وإذا شبهنا ذلك بحرارة الجسم ، فان جسم الانسان لا يكون صحيحا معافى بدون درجة معتدلة من الحرارة (٣٧ درجة مئوية) . فان قلت الحرارة عن ذلك كان هذا علامة على المرض ، وان زادت كانت مؤشرا على المرض أيضاً . فالعلاقة بين درجة حرارة الجسم والصحة الجسمية علاقة منحنية — Curvilinear ونفس الشيء يمكن أن يقال عن العلاقة بين التوتر النفسي والصحة النفسية ، فكلما زاد التوتر النفسي (بدءا من درجة الصفر) زادت دوافع الانسان ، وازدهرت طاقاته وتوفرت له أسباب التوافق في الحياة .. إلى أن يصل التوتر إلى قدر معين . إذا زاد بعده أو تجاوزه كانت كل زيادة ضررا ، واهدارا للطاقة النفسية ، ومصدرا للقلق والخوف .

ويطلق علماء النفس على الضغوط النفسية اصطلاحا خاصا هو : الانعصاب — Stress ويمكن تعريف الانعصاب بأنه حالة من اختلال التوازن بين المطالب البيئية وبين مقدرة الشخص على الاستجابة لمواجهة تلك المتطلبات . والواقع أن الانعصاب (أو الضغوط النفسية) لها ثلاثة جوانب أساسية ، وهي :

- الظروف الخارجية البيئية الضاغطة بأنواعها المختلفة .
- الاستجابة الفسيولوجية للجسم ردا على تلك الضغوط ، وما يرتبط بذلك من أمراض جسمية تترتب عليها .
- العوامل النفسية الوسيطة التي تقع أحداثها داخل عقل الانسان فيما بين البيئة الخارجية والاستجابة الفسيولوجية .

والواقع أن استجابة الانعصاب هي عبارة عن سلسلة من الأحداث المتتالية التي لا تنفصم حلقاتها الواحدة عن الأخرى . فأحداث البيئة تؤدي إلى إدراك الانسان للضغوط أو التهديدات بما يؤدي إلى ردود فعل فسيولوجية إذا أزمنت فانها تؤدي بالضرورة إلى أمراض جسمية خطيرة .

وسوف نتناول هذه الجوانب الثلاثة بالمناقشة قبل أن ننتقل إلى مناقشة وسائل الوقاية والعلاج .

الظروف البيئية الضاغطة

لا تخلو الحياة من التغيرات أو الأحداث التي تفاجيء الفرد أو تتركه نهبا للحزن أو الغضب أو غير ذلك من شتى المشاعر السلبية . ولا يستطيع الانسان — وكيف له — أن يمنع موت انسان عزيز ، أو حدوث شيء مرده للقضاء والقدر . ولكننا نشهد فروقا بين الناس في كيفية مجابهتهم لتلك الأحداث أو صبرهم عليها .

ولقد اهتم علماء النفس بدراسة الظروف المختلفة التي تعتبر من قبيل الظروف الضاغطة في الحياة . ويمكن أن نعرّف الظروف الضاغطة بوجه عام بأنها تلك الظروف التي تشتمل على تغيرات في جوانب الحياة المختلفة ، تفرض على الانسان أن يتكيف لها أو يتوافق معها .

وقد صمم اثنان من الباحثين الأمريكيين وهما هولمز وراهي — Holmes & Rahe مقياسا يعرف باسم مقياس اعادة التوافق الاجتماعي — Social Readjustment Scale . ويشتمل هذا المقياس على ٤٣ بندا ، وكل بند عبارة عن حدث هام أو تغير كبير في ظروف الحياة . واستخدم هذا المقياس في اجراء العديد من البحوث العلمية الشيقة . وقد درست تلك البحوث العلاقة بين وقوع هذه الأحداث البيئية للفرد وبين اصابته فيما بعد ببعض أنواع الأمراض أو الاصابات . وأظهرت تلك الدراسات أن هذا المقياس يعتبر بحق أداة جيدة للتنبؤ بتعرض الفرد للأمراض أو الاصابات وإن كنا نؤكد هنا ما أظهرته بعض الدراسات التجريبية من أن التغير في حد ذاته ليس هو العامل المهم ، وانما المهم فعلا هو مدى كون هذا التغير شيئا مرغوبا أو غير مرغوب من جانب الفرد . أي أن المهم هنا هو تقييم الفرد للتغير ونظرته إليه . فالتغير الذي نعتبره موجبا أو كسبا لا يرتبط بالمرض أو العجز أما تلك التغيرات التي لا نرغبها ولا نتقبلها فهي التي تتراكم آثارها فتؤدي إلى المرض .

وتبين الدراسات التجريبية التي أجريت على مقياس اعادة التكيف الاجتماعي أن الشخص الذي يحصل على درجة أعلى من ٣٠٠ ، لديه احتمال للاصابة بالمرض خلال العامين التاليين بنسبة ٨٠ ٪ ، والشخص الذي يحصل على درجة تتراوح بين ١٥٠ — ٣٠٠ ، لديه احتمال ٥١ ٪ للاصابة بالمرض ، وأما الشخص الذي يحصل على درجة أقل من ١٥٠ فلديه احتمال ٣٧ ٪ لأن يقع فريسة للمرض الناتج عن الانعصاب خلال العامين التاليين .

وتجدر الاشارة إلى عدم اغفال دور العوامل المعرفيـــة Cognitive والوجدانيـــة Emotional ، وكذلك دور العوامل الثقافية والاجتماعية . فخطورة تأثير الحدث تعتمد على تقييم الشخص له وعلى تصوره لمدى أهميته .

تأثير العوامل الحضارية والثقافية

تشير بعض الدراسات إلى وجود فروق غير حضارية — Cross-Cultural بين المجتمعات المختلفة في أنواع ودلالات الظروف الضاغطة . فهناك أحداث أو أشياء تثير الانعصاب في بعض المجتمعات ولكنها لا تؤدي إلى ذلك في مجتمعات أخرى . فمثلا ، تثير بعض الحيوانات الانعصاب لدى بعض قبائل الهنود الحمر وذلك لأنهم يعتقدون أن وراءها سحرها من عمل الأعداء وأنها تعني أن شرا سيصيبهم . وبينما نجد أن الخلافات الزوجية تثير درجة عالية من الانعصاب عند الأمريكيين ، فان اليابانيين يعتبرون أن الذهاب للبنك لأخذ قرض أمر يثير القلق الشديد .

وتفرض بعض المجتمعات متطلبات خاصة على الفرد كالنجاح والتفوق في الامتحانات أو الكسب المالي والمهني في المشروعات التجارية أو انجاب المرأة للذكور ... إلخ . ويشعر الفرد بالتهديد إن لم تتحقق له هذه المتطلبات مما يعرضه لفقدان مكانته الاجتماعية . كما لوحظ أيضاً أن التمييز العنصري في البلاد التي تمارسه ، والتي يتفشى فيها رفض بعض الجماعات الاجتماعية أو سوء معاملتها يخلق مواقف انعصابية شديدة لضحايا التمييز العنصري . بل ان بعض أساليب التنشئة الاجتماعية Socialization قد تؤدي إلى زيادة قابلية الفرد للانعصاب . مثال ذلك الخجل أو الخوف من الغرباء الذي تنميه المجتمعات الشرقية لدى الأطفال قد يجعلهم عرضة للانعصاب عند مواجهتهم لمواقف تتطلب الجرأة الاجتماعية أو رد أذى الآخرين عنهم .

كذلك قد تؤدي بعض التغيرات الاجتماعية السريعة إلى شعور الفرد بالتمزق بين القيم القديمة والقيم الجديدة وهو ما يطلق عليه صراع القيم — Value Conflict وكثيرا ما يتحير المراهق بين نماذج مختلفة للقدوة .. بما لكل نموذج من مزايا وعيوب .. ولا ينقذه من ذلك إلا وضوح في الرؤية لما هو حسن وما هو قبيح وايمان عميق بقيم الخير والحق والعدل .. وهو ما يوفره ديننا الإسلامي الحنيف □

تعقيب

قرأت

بشغف كبير دراسة « الندوة الثالثة » حول تعريب الدراسة في الكليات العلمية العربية ، بعدد محرم ١٤٠٢ هـ من قافلة الزيت الغراء .. وعلى قدر استمتاعي بهذه الدراسة الهامة ، كان أسفي لعدم قراءتي للندوتين السابقتين لهذه الندوة « الأولى والثانية » ، لاستكمال الفائدة .

وكم أود أن أضيف إلى ما ذكره الدكتور شوقي ضيف بشأن اللغة العربية — التي حملت لواء العلم — ما سبق أن قرأته بتفصيل أوفى ، لهذه النقطة بالذات ، للأستاذ محمد المبارك ، بمجلة « المجلة » ، عدد يوليه ١٩٦٠ م بمقال ضاف له يحمل عنوان : « سبيلنا في التجديد اللغوي — بعض خصائص العرب في لغتهم » .. وفيه يقول عن طريقة توليد الألفاظ التي تنفرد بها العربية عن سائر اللغات ، بأنها تقوم على حفظ الأنساب لمفرداتها « فلا تعيش الألفاظ العربية في فردية مطلقة ، بل تعيش في أسر وقبائل معروفة الأنساب ، ولو تباعدت بعد ذلك أجسامها .. فالسلام بمعنى التحية ، وتسليم المتاع أو الشيء ، وإسلام النفس لله ، والاستسلام للخصم ، ومسالمة الناس ، والسلامة من المرض .. فيها كل معنى مشترك عام ، هو : السلامة ، وهي بسبب بقاء الحروف الثلاثة « سلم » .. سالمة دون تغيير حرف ، تحتفظ بما بينها من صلات نسبية .. ويكاد يكون الأمر مطردا من العربية .. ولو نظرت إلى اللغات الشائعة اليوم في العالم المتمدن ، لوجدت أن لغاته ، كشعوبه ، تشيع فيها الفردية وتضيع الأنساب .. فاللفظ الدال على الفرس في الفرنسية هو : cheval ، وركوب الخيل : equitation ، وعلم الخيل : hippologie ، والفرس النهري : hippopotame ومثل هذا قل في ألفاظ أخرى .. فإن aveugle بمعنى أعمى .. وأما العمى فتدل عليه كلمة : cecite .. إلى أن يقول : « ومن أطرف المفارقات أن الأخ والأخت ليسا من لفظ واحد ، فأنظر إلى لغات فرقت بين الأخ والأخت ! فأين كلمة : frere بمعنى أخ ، من كلمة : soeur بمعنى أخت ؟

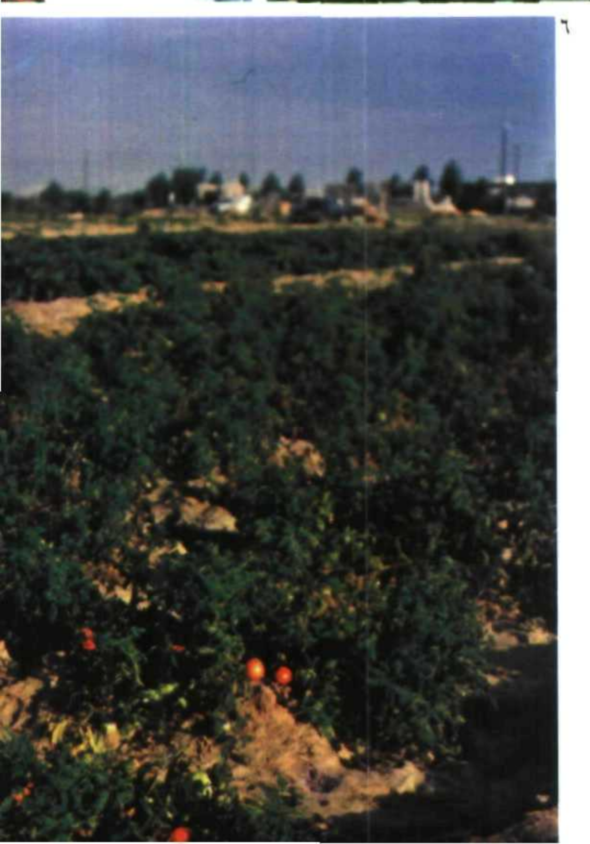
وكذلك الحال في الأنجليزية brother و sister وفي son بمعنى الابن و daughter البنت .. وأما العربية ، فيجمع الأولين مادة « أخ » والآخرين مادة « ب ن و » .. إلى أن يقول بزكانة وفطنة : « ان طريقة الاشتقاق في اللغة العربية طريقة حيوية توالدية تشبه طريقة توالد الأحياء وتكاثرهم ، انها تجمع بين مزيتين : فسح المجال لتوليد ألفاظ جديدة للمعاني الجديدة ، وتكثيرها بحسب الحاجة .. » ، ثم يقول بحق : « ان اللغة العربية بطريقة الاشتقاق الخاصة بها ، استطاعت أن تستمر في حياتها خلال العصور ، ومع تقلبات التاريخ وتطورات الحضارة » .. « هذا وإن اللغة العربية لم تسد الطريق على الكلمات الغريبة التي لابد منها ، بل وقفت منها موقف العرب أنفسهم ممن يلتجيء إليهم أو يحتمي في جوارهم ممن ليس منهم ، فهم يكرمونه إن كان ضيفا راحلا ، ويلحقونه باحدى قبائلهم ، إن كان راغبا في الإقامة بينهم .. على أن صلته تعرف أنها صلة ولاء لا نسب ، وجوار .. لا .. دم » .. « ان اللغة العربية قادرة على أن تصهر الألفاظ الأجنبية التي تدخل فيها ، وتذيبها فيها ، وتصبها في قوالبها ، وتحشرها من أسر ألفاظها ، وتلحقها بها » .. « انها حفاظ على عناصر أصيلة ثابتة ، وملاءمة بينها وبين مستحدثات الأمور ، وجديد المشكلات والصور ، بطريقة مرنة ، تجمع بين الأصالة والمحافظة ، والتجديد والتقدم » .. « ان توليد الألفاظ عن طريق الاشتقاق من الأصول العربية الفنية ، هي الطريق الواسعة للتجديد والتوسع ، وقد يلجأ إلى طريق احياء ألفاظ عربية قديمة ، ولو مع شيء من التجوز والتوسع في استعمالها كاستعمال (الهاتف) — وهو الصوت الذي يسمع دون أن يرى شخص صاحبه — « للتليفون » ، كما قد يلجأ إلى التعريب ، حين يتعسر الاشتقاق .. » .

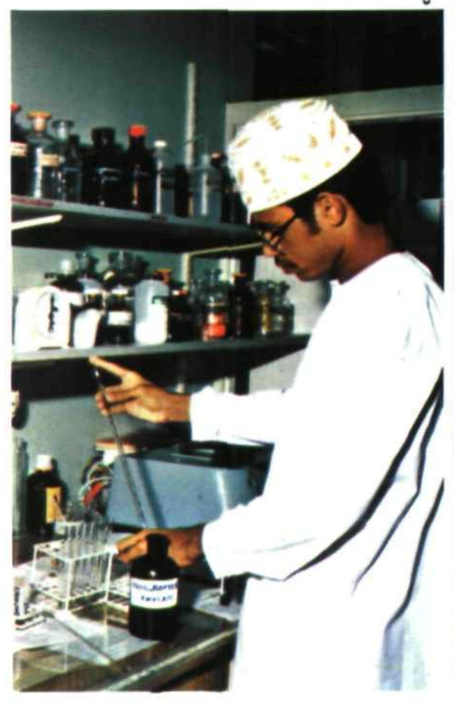
هذا هو أهم ما رأيت النص عليه من هذا المقال النفيس ، وجدت لزاما علي الإشارة إليه ، إتماما للفائدة □

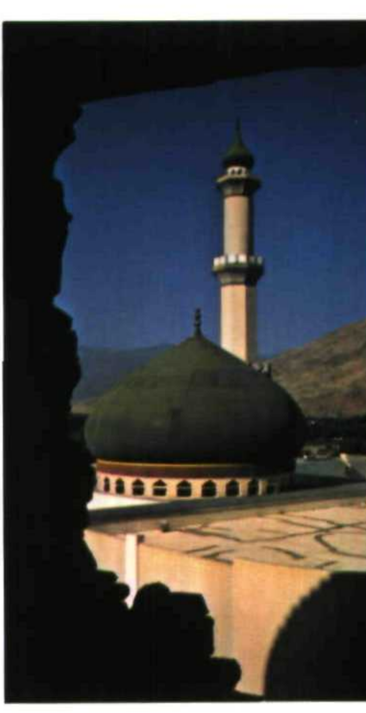
أحمد مصطفى حافظ



١ – احدى مدارس البنات في منطقة العاصمة مسقط .
٢ – معرض صناعة الزيت القريب من ميناء الفحل حيث مصفاة البترول .
٣ – أحد الأطبـــاء العمانيين يفحص مريضا يرقد في مستشفى خوله .
٤ – المسجد الكبير بمدينة نزوى في عمان الداخل .
٥ – فني مختبر في مستشفى خوله يفحص بعض العينات الطبية .
٦ – احد العمال يتفقد شجيرات الطماطم استعدادا لجني المحصول .







سلطنة عُمان

على دروب التقدم والازدهار (٣)

يعقوب سلام / هيئة التحرير

الزائر لسلطنة عمان هذه الأيام يلحظ التغيرات الجذرية التي طرأت على البلاد وخاصة خلال السنوات العشر الأخيرة ، فكل الجهود تنصب في بوتقة تهدف إلى تأمين أكبر قدر من احتياجات المواطن ، والاستفادة من المزايا التي تتمتع بها البلاد ، وابراز الوجه الحضاري والتاريخي العريق للبلاد ، وتسخير التقنية العصرية لتطوير مرافق الحياة في جميع المجالات الصحية والتعليمية والزراعية والمواصلات وكل ما له علاقة بالقطاعين الخاص والعام .



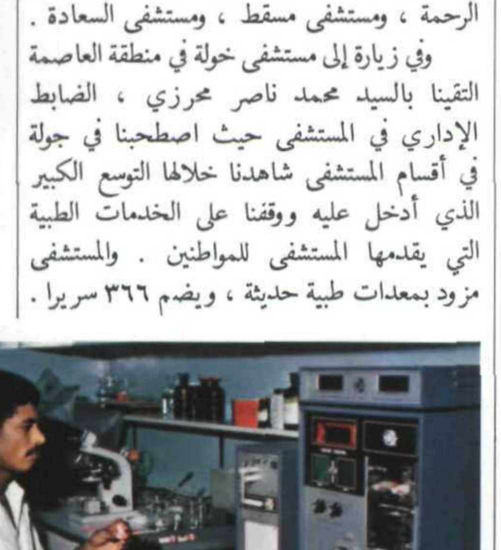
الرعاية الصحية

لم تعرف السلطنة الخدمات الصحية المتوفرة لديها الآن قبل عام ١٩٧٠ . وعندما جرى تأسيس وزارة الصحة ، أخذت على عاتقها بناء المستشفيات الحديثة وتقديم الرعاية الصحية للمواطنين . فخلال العقد المنصرم شهدت السلطنة افتتاح عدد من المستشفيات والمراكز الصحية والمستوصفات في نزوى وصلالة والرستاق وسمائل وصحار وصور والبريمي وغيرها من مناطق السلطنة بحيث أربى عدد المستشفيات العاملة في السلطنة حتى الآن على ١٤ مستشفى و ٧٠ عيادة و ٢٦ عيادة طبية متنقلة .

ومنذ أن بدأت مرحلة افتتاح المستشفيات الحديثة وحتى يومنا هذا أدخلت عليها تحسينات وتوسعات ضخمة ، تتناسب وحجم الخدمات الصحية التي توفرها الدولة للمواطنين فازداد عدد الأسرّة وازداد عدد الأطباء والممرضين وتنوعت الاختصاصات فشملت علاوة على الرعاية الطبية المعتادة تخصصات في العلاجات النفسية والعلاجات الطبيعية . والجدير بالذكر أن الخدمات الطبية بما فيها العمليات الجراحية تقدم للمواطنين مجانا .

وعلى صعيد الخدمات الوقائية أنشأت وزارة الصحة دائرة الطب الوقائي التي تطورت أعمالها فشملت مكافحة الأمراض المعدية والوقاية من الأمراض السارية والحجر الصحي ومكافحة الملاريا والحشرات والاعتناء بصحة البيئة ورعاية الأمومة والطفل وصحة الفم والأسنان . ومن أهم المستشفيات التي تضمها منطقة العاصمة ، مستشفى خولة ، ومستشفى النهضة ، ومستشفى الرحمة ، ومستشفى مسقط ، ومستشفى السعادة .

وفي زيارة إلى مستشفى خولة في منطقة العاصمة التقينا بالسيد محمد ناصر محرزي ، الضابط الإداري في المستشفى حيث اصطحبنا في جولة في أقسام المستشفى شاهدنا خلالها التوسع الكبير الذي أدخل عليه ووقفنا على الخدمات الطبية التي يقدمها المستشفى للمواطنين . والمستشفى مزود بمعدات طبية حديثة ، ويضم ٣٦٦ سريرا .

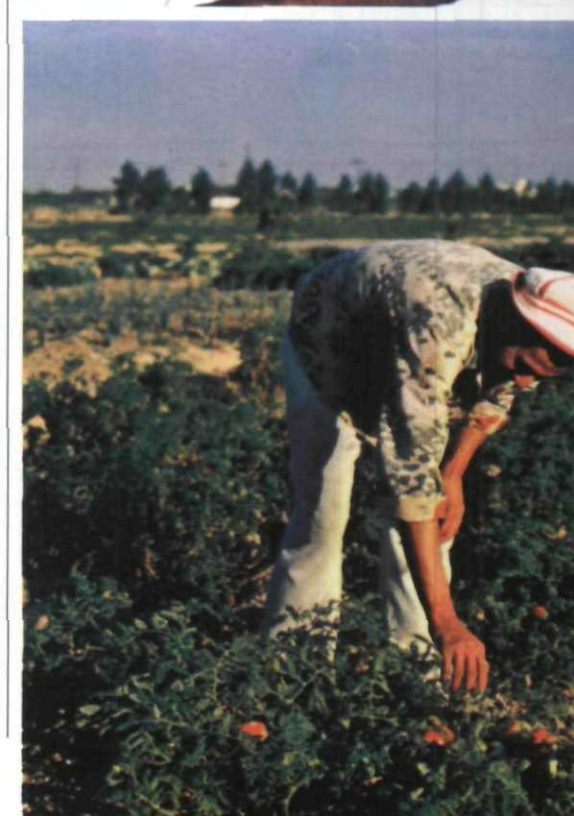


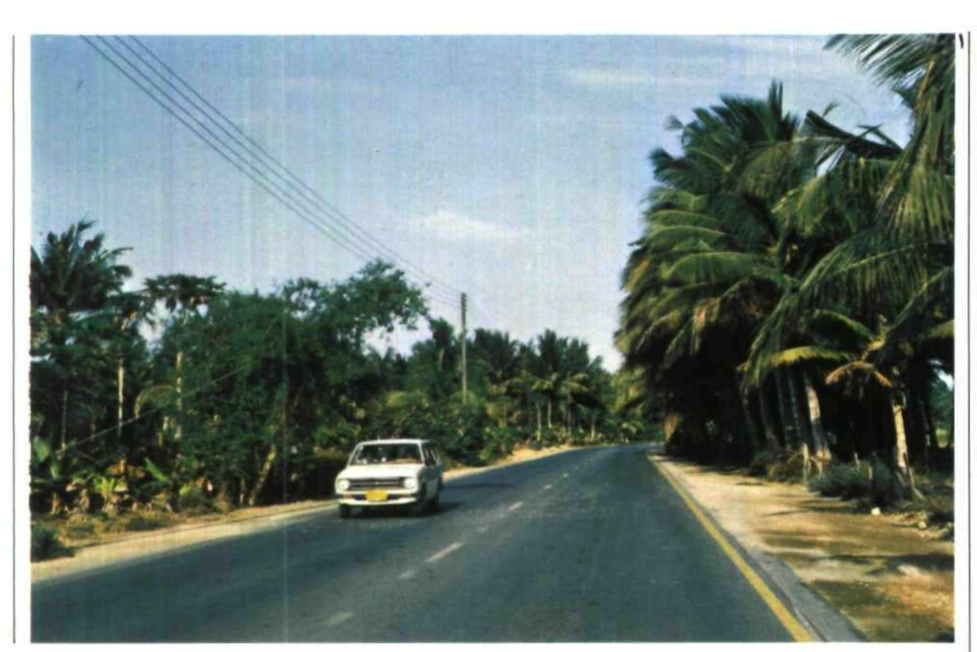
فني مختبر يتفحص عينة من الدم بواسطة جهاز الكتروني خاص لمعرفة نوعية الدم .

التعليم

يحظى قطاع التربية والتعليم في السلطنة باهتمام المسؤولين ، وقد تم انشاء العديد من المدارس الابتدائية والاعدادية والثانوية ومعاهد المعلمين والمعلمات . كما وفرت الدولة الكتب المدرسية وهيأت فرص التعليم المجاني لأبناء الوطن وهيأت فرص التعليم للمسنين فأنشأت لهذا الغرض مدارس لمحو الأمية .

لم يكن التعليم قبل عام ١٩٧٠ يلقى الاهتمام اللازم فلم يكن هناك في طول البلاد وعرضها سوى مدرستين واحدة في مسقط والثانية في صلالة . وكانت هناك مدارس تحفيظ القرآن الكريم في الجوامع وكانت تدرس اضافة إلى ذلك اللغة العربية والفقه والدراسات الإسلامية . وكان عدد الطلاب الملتحقين بالمدارس قبل عام ١٩٧٠ لا يتجاوز ٩٠٠ طالب .





وفي حديث مع مدير التعليم العام الأستاذ مراد علي مراد ، قال : بدأ التعليم النظامي في السلطنة منذ عام ١٩٤٠ وكانت هناك مدرستان هما المدرسة السعيدية في مسقط ، والمدرسة السعيدية في صلالة اضافة إلى مدارس تحفيظ القرآن الكريم في المساجد . وقد تخرج من هذه المدارس رغم قلة عددها علماء وأدباء ، وهم في عُمان الآن ولهم مؤلفات وكتب قيمة . وفي العام ١٩٥٩ أنشئت مدرسة ثالثة ابتدائية فارتفع عدد الطلاب إلى ٩٠٩ طالب . ومنذ أن تولى السلطان قابوس مقاليد الحكم ، أولى قطاع التعليم اهتماما متزايدا ، ففي عام ١٩٧٠ أنشئت الوزارات ومن بينها وزارة التربية والتعليم التي أخذت على عاتقها التخطيط وانشاء المدارس . وقد قطعت في هذا المضمار شوطا بعيدا فبلغ عدد المدارس الآن ٤١٧ مدرسة ، وهناك معاهد للمعلمين والمعلمات ومدارس ثانوية تجارية حاليا في جميع أنحاء البلاد اضافة إلى وجود مدارس داخلية تحتضن الطلاب القادمين من أماكن بعيدة من البلاد وتؤمن لهم الغذاء والسكن والكتب المدرسية والخدمات الصحية بالمجان . ويبلغ عدد الطلاب والطالبات في مختلف المراحل الدراسية ١٢٠,٠٠٠ طالب وطالبة . هذا ويمنح طلاب وطالبات معاهد المعلمين والمعلمات رواتب شهرية خلال فترة الدراسة في هذه المعاهد اضافة إلى توفير الرعاية الصحية والمواصلات . أما بالنسبة لجامعة السلطان قابوس فإن وزارة التربية والتعليم تجري دراسات مكثفة يشارك فيها عدد من الخبراء العمانيين من أجل انشاء جامعة قابوس وينتظر أن تستكمل جميع الدراسات والمخططات اللازمة لانشاء الجامعة على أن تكون مستعدة لاستقبال الدفعة الأولى من الدارسين في شهر سبتمبر عام ١٩٨٦ وستبدأ الجامعة بخمس كليات هي الطب ، والهندسة ، والعلوم ، والتربية والدراسات الإسلامية ، والزراعة . وسيكون مقر الجامعة في منطقة العاصمة على بعد حوالي أربعين كيلومترا من مسقط . وقد وضع السلطان قابوس حجر الأساس لهذه الجامعة في شهر نوفمبر من عام ١٩٨٢ م .

المواصلات

شهدت عمان خلال السنوات العشر الماضية نشاطا كبيرا وتطورا جذريا شمل معظم مرافق الحياة في السلطنة . وقد حظي قطاع المواصلات باهتمام كبير لتمكينه من القيام بدوره الفعلي كعنصر مساند ومهم في تدعيم خطة التنمية

في البلاد . وتلعب المواصلات البرية في عمان دورا فعالا في تسهيل وتدعيم التنمية الاقتصادية وهي تسير في خط متواز مع بقية القطاعات الأخرى في البلاد . فهي تربط المدن والقرى بعضها ببعض وتساعد على انتقال وتبادل المنتجات الزراعية والسلع الاستهلاكية ، كما تنشط الحركة السياحية وتربط البلد مع البلدان المجاورة .

وقد شاهدنا خلال زيارتنا العديد من شبكات الطرق الحديثة التي تربط المدن والقرى ، ولعل من أهمها الطريق الرئيسي الذي يربط العاصمة مسقط بمدينة صلالة في أقصى المنطقة الجنوبية من البلاد والذي يبلغ طوله ألف كيلومتر . وكذلك طريق العاصمة نزوى وطوله حوالي ١٨٠ كيلومترا ، وطريق العاصمة صور ، وطوله حوالي ٣٧٥ كيلومترا . وقد روعي لدى انشاء هذه الشبكة أن تكون موازية لخطة التنمية الشاملة المعتمدة في كافة أنحاء البلاد وأن تأخذ في عين الاعتبار الجدوى الاقتصادية من حيث الكثافة السكانية والحركة العمرانية وحجم الأنشطة الاقتصادية والتجارية .

والجدير بالذكر أن عمان لم تعرف قبل عام ١٩٧٠ وجودا حقيقيا للطرق البرية المعبدة ، فلم يكن فيها سوى طريق معبد قصير يبلغ طوله حوالي عشرة كيلومترات كان يربط العاصمة مسقط بمنطقة مطرح المجاورة . أما اليوم فتوجد في عمان شبكة من الطرق المعبدة تبلغ أطوالها أكثر من ٢٨٥٠ كيلومترا اضافة إلى أكثر من ١٧ ألف كيلومتر من الطرق الترابية التي تم شقها في كافة أنحاء السلطنة .

الثروة الزراعية

تعد الثروة الزراعية من الدعائم الرئيسية في اقتصاد سلطنة عمان حيث يعمل على الزراعة وصيد الأسماك أكثر من ثلثي السكان . ورغم سلاسل الجبال الكثيرة والمنتشرة في عمان فانها تضم مساحات كبيرة من الأرض الصالحة للزراعة مع توفر مصادر المياه . وقد ساعد تنوع المناخ على زراعة محاصيل متنوعة . ونتيجة للتحسن الذي طرأ على طرق الزراعة واستخدام البذور المحسنة والمساعدات الزراعية التي تقدمها الدولة للمزارعين ، ارتفع مستوى انتاج المحاصيل الزراعية التقليدية كالتمور والليمون والبرسيم والقمح وقصب السكر والموز وجوز الهند والخضروات على اختلاف أنواعها . وعلى الرغم من الطفرة العمرانية الحديثة في البلاد فان التمور لم تفقد أهميتها على مر الزمن ، نظرا لتعلق الانسان العماني بالنخلة . وأينما توجهت في الداخل فانك ترى بساتين النخيل النضرة ولاسيما تلك التي تحيط بالمدينة التاريخية نزوى . ومن أشهر أنواع التمور في عمان صلاني ، حنظل ، قدمي ، خمري ، شيروت ، نغال ، مدلوكي ، خلاص ، هلالي ، خنيزي ، خصاب ، زبد ، والفرض . ويجري تصدير كميات كبيرة من التمور المجففة إلى الهند والدول الأخرى . ولتعزيز صناعة التمور أنشأت الدولة مصنعين لتعبئة وتصنيع التمور في كل من مدينتي نزوى والرستاق ، واللذين بلغ انتاجهما في العام الماضي أكثر من خمسمائة طن . أما عدد أشجار النخيل المنتشرة في ربوع السلطنة فيناهز الثمانية ملايين نخلة .



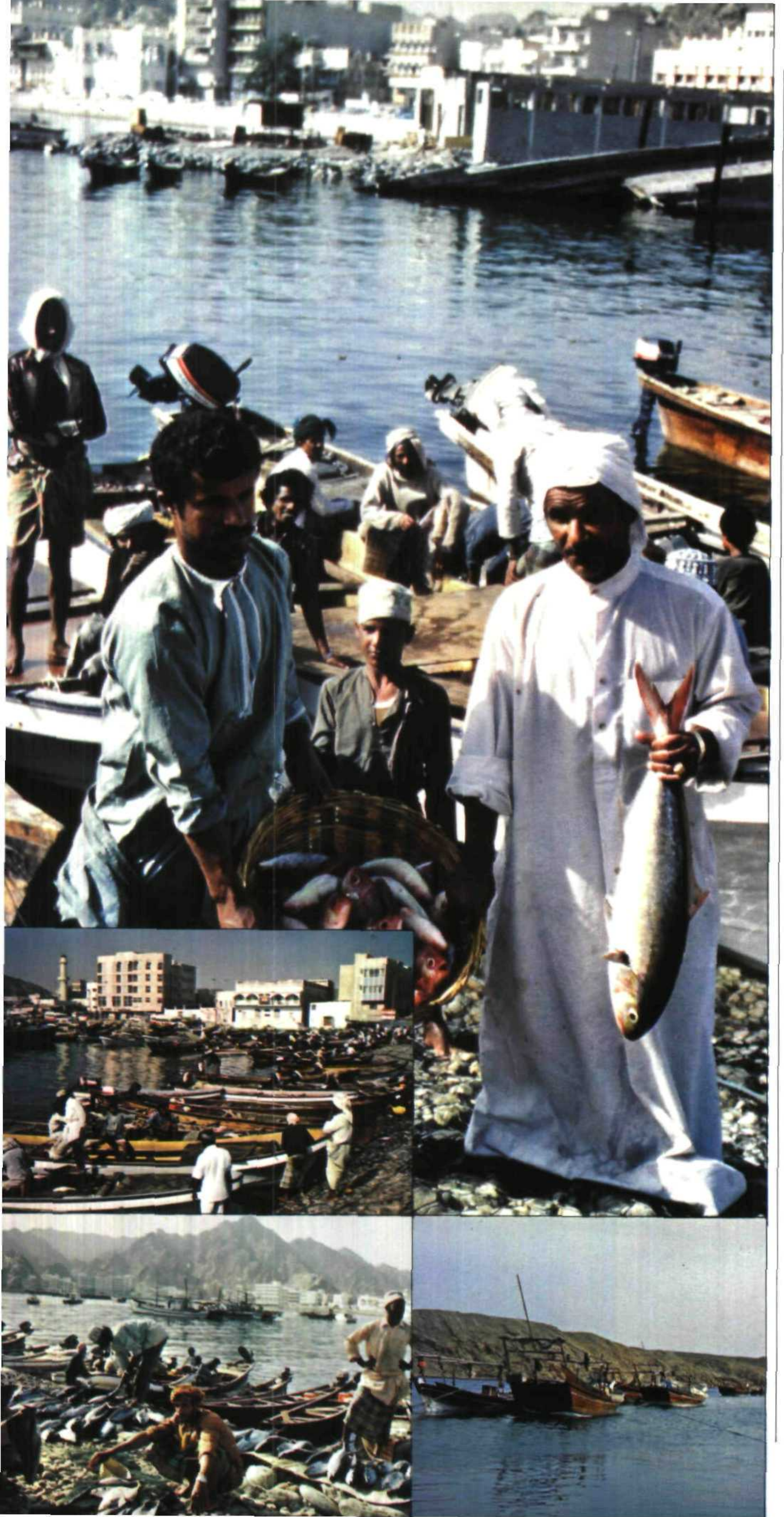
١ – أحد الشوارع الرئيسية في صلالة عاصمة الجنوب وعلى جانبيه أشجار النارجيل والفافاي .

٢ – اللومي من المنتجات الزراعية الرئيسية في السلطنة ويجري تصدير كية كبيرة منه أخضر ومجففا إلى دول الخليج العربية .

٣ – قصب السكر من المنتجات الزراعية الرئيسية في منطقة صلالة عاصمة المنطقة الجنوبية من السلطنة .

٤ – تنتشر مزارع الخضروات بكثرة في منطقة العاصمة ويعتبر الملفوف من المنتجات الرئيسية لهذه المزارع .

٥ – أشجار الكرمة « العنب » تحظى باهتمام كبير من المزارعين وهي من الأشجار الناجحة والحديثة في المنطقة .



وتأتي المانجو « الهامبا » في المرتبة الثانية من حيث الأهمية الاقتصادية . وقد أدخلت زراعتها إلى عُمان منذ حوالي المائة عام تقريبا ، ونجحت زراعتها إلى درجة أدت إلى انتشارها خاصة في الباطنة والشرقية . وتروى اشجار المانجو بشكل منتظم في بداية زرعها ، لكن احتياجها من الماء يقل بعد اكتمال نموها . كما تشتهر عُمان بزراعة الليمون وله سوق كبير خاصة في الهند ودول الخليج العربية ، وهو يصدر إلى هذه الدول بعد تجفيفه .

ويندرج الموز ضمن المنتجات الزراعية ذات المردود الاقتصادي الجيد بالنسبة للمزارعين . وتبلغ المساحة المزروعة بأشجار الموز في السلطنة حوالي ألفي هكتار ويقع أكثرها في منطقة الباطنة والعاصمة ، وقسم كبير منها في المنطقة الجنوبية من السلطنة في مدينة صلالة .

أما أشجار النارجيل « جوز الهند » فتكاد تكون زراعتها مقصورة على المنطقة الجنوبية وفي مدينة صلالة بالذات وذلك لتوفر المناخ الصالح والتربة المواتمة لنمو هذه الأشجار بالاضافة إلى توفر المصادر المائية . ويربو عدد أشجار النارجيل في صلالة على مائة ألف شجرة أي أكثر من ٩٨٪ من أشجار النارجيل في السلطنة . وتزرع أشجار النارجيل في صفوف متراصة كما هي الحال بالنسبة لأشجار النخيل . وتعطي هذه الشجرة ثمارا طوال العام ويقبل المواطنون على شرب السائل الموجود داخل الثمرة قبل نضوجها وقبل أن تقسو قشرتها الخارجية ، ويعتقد الكثيرون أن هذا السائل يصلح لمعالجة بعض الأمراض وخاصة أمراض المعدة والحصاة وغيرها من الأمراض .

وهناك أيضا ثمار الغافاي التي تكثر في المنطقة الجنوبية ، وهي تستهلك محليا .. وكذلك قصب السكر الذي تكثر زراعته في المنطقة الجنوبية . ونظرا للدور الكبير الذي تلعبه الزراعة في خطط التنمية الاقتصادية في البلاد ، فإن الدولة أخذت على عاتقها تقديم الخبرات والمساعدات للمزارعين بما في ذلك البذور المحسنة ، ومكافحة الآفات الحشرية التي تصيب الخضروات .

الثروة السمكية في سلطنة عمان دعامة اقتصادية متينة مما جعل الحكومة توليها أهمية بالغة . وهذه صور لمجموعة من قوارب صيد الأسماك في ميناء مدينة صور .

الثروة السمكية

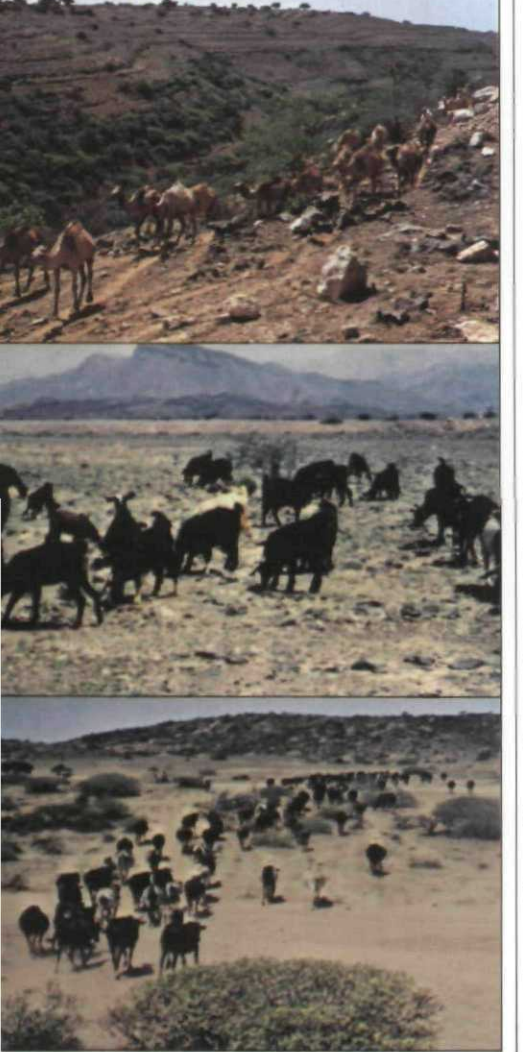
إذا ما عرفنا أن ساحل عُمان يمتد حوالي ١٧٠٠ كيلومتر ، أدركنا ما يمكن أن تكون عليه الثروة السمكية في بلد بهذا الامتداد مع البحر اضافة إلى وجود عدد من الخلجان التي يمكن أن تشكل مناطق صالحة لتكاثر أنواع عديدة من الأسماك . وتأتي الثروة السمكية في المرتبة الثانية بعد الزراعة من حيث القيمة الاقتصادية ، وتعتبر مهنة صيد الأسماك من أقدم المهن التقليدية التي يتوارثها الأجداد منذ مئات بل آلاف السنين ، والأسماك غذاء أساسي لسكان عُمان إذ قلما تخلو مائدة عمانية منه .

تتوفر الأسماك في عمان بكميات هائلة وتحرص الدولة على تقديم المساعدات أيضاً للصيادين للاستمرار في تأمين الكميات اللازمة من الأسماك للمواطنين وبأسعار مقبولة ، وتشمل هذه المساعدات تقديم قوارب الصيد الصغيرة الحجم والمحركات وانشاء ورشة لاصلاحها ، وبناء مشاريع لحفظ الأسماك وتثليجها في كل من مطرح وصلاله وصور . كما تولي الدولة اهتماما خاصا بالقطاع التقليدي للصيادين الذين يصل عددهم إلى نحو ١٥ ألف صياد ، وتطوير هذا القطاع بشتى الوسائل لتمكينه من أداء دوره الفعال في خدمة الاقتصاد الوطني ومن ثم تحقيق الأمن الغذائي للمواطنين .

ويعتبر البحر بالنسبة للسلطنة مصدر غذاء هائل فمن لحمه يأكلون ومن أحجاره يتزينون ، قال تعالى : **« وهو الذي سخر البحر لتأكلوا منه لحما طريا وتستخرجوا منه حلية تلبسونها ، وترى الفلك مواخر فيه ولتبتغوا من فضله ولعلكم تشكرون »** . ومن أشهر أنواع الأسماك التي تكثر في المياه العمانية الكنعد ، والهامور ، وسلطان ابراهيم ، والزبيدي ، والسيكل ، والحمراء ، والعندق ، والجرفة ، والحمام ، والجرجور ، والصال ، والتونة ، والكد ، وأنواع أخرى عديدة .. هذا بالإضافة إلى أعداد كبيرة من الربيان وجراد البحر ، والأسماك الصغيرة التي تستخدم كعلف للدواجن .

الثروة الحيوانية

الثروة الحيوانية من اللبنات الأساسية في صرح الاقتصاد الوطني في عمان ، ويعمل في هذا القطاع عدد كبير من المواطنين . ونظرا لكون المنطقة الجنوبية من البلاد تمتاز بالمراعي الخصبة فان قسما كبيرا من الثروة الحيوانية يكثر في المنطقة الجنوبية وخاصة في جبال ظفار التي تكسوها الأشجار وتتوفر فيها المراعي . وقد نفذت الحكومة في المنطقة الجنوبية العديد من المشاريع التي تساعد في تطوير الثروة الحيوانية ونمائها وخاصة بعد أن قامت بتأمين المياه في الجبال وذلك عن طريق حفر عدد من الآبار الارتوازية في مناطق مجمع الأبقار والأغنام ، واقامة أحواض للشرب . وتنتشر الأبقار والأغنام والجمال في جبال ظفار بشكل كبير ، وقد روعي في تنمية الثروة في الجبال تأمين كافة مستلزمات التنمية الحيوانية وتسهيل تسويق منتجاتها من البان ولحوم وغيرها . ويقدر عدد الأبقار في السلطنة بحوالي ٤٠٠ ألف رأس من مختلف الأنواع والأجناس ، وعدد الماعز بنحو ١,٢ مليون رأس ، والضأن بحوالي ٢٠٠ ألف رأس ، والجمال بنحو ٢٥٠ ألف . ومن بين الخطوات الفعالة التي اتخذتها الحكومة ازاء تدعيم الثروة الحيوانية والحفاظ عليها ، قيامها بانشاء المحاجر البيطرية والمختبرات ومحطات البحوث ، اضافة إلى تطوير محطات انتاج الألبان واللحوم في صلالة .

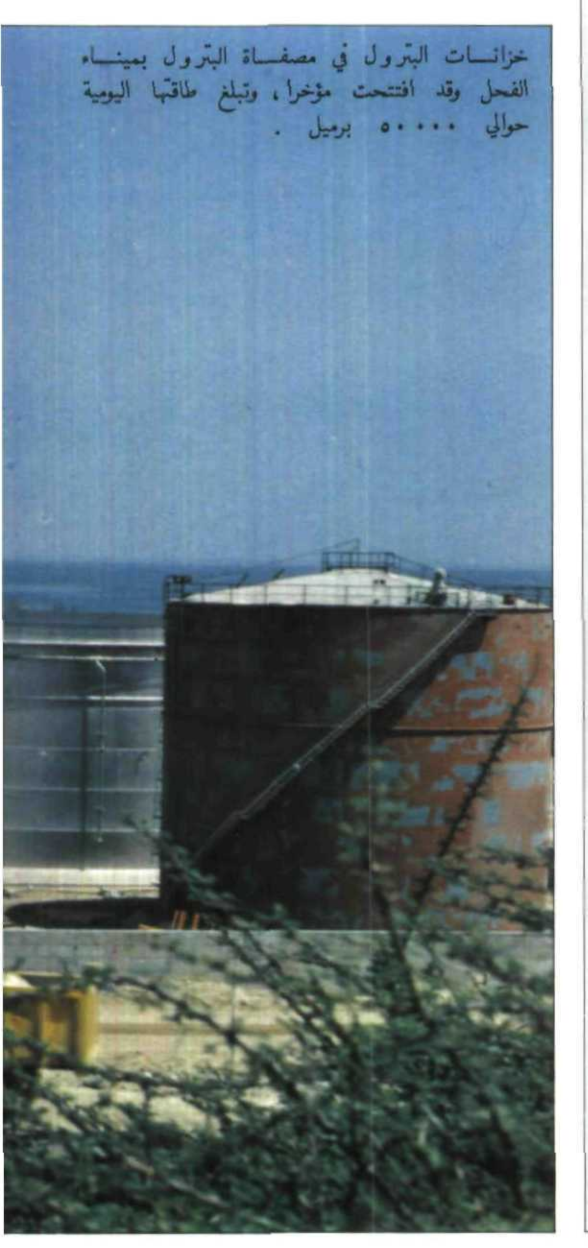




تشكل الثروة الحيوانية في سلطنة عمان ركيزة أساسية في الصرح الاقتصادي للبلاد . وتبدو في هذه الصورة مجموعات من الأغنام والماعز والأبقار والجمال .

النفط

ان تاريخ ظهور النفط في عمان يرجع إلى بداية القرن الحالي حين تم اكتشاف الزيت في الخليج ، وكان الاعتقاد السائد أنه لابد من وجود النفط في عمان نظرا لوجود تكوينات جيولوجية تشير إلى احتمال وجوده . ففي عام ١٩٥٢ ، حصلت الشركة الانجلو ايرانية (شركة البترول البريطانية فيما بعد) على امتياز للتنقيب ، وقامت الشركة بأعمال مسح جيولوجي لعمان . لكن النتائج لم تكن مشجعة مما دفع الشركة إلى ايقاف نشاطها والتخلي عن الامتياز الممنوح لها . ثم جرت عدة محاولات اخرى للبحث عن الزيت لكنها لم تكن مجدية من الناحية الاقتصادية .



خزانات البترول في مصفاة البترول بميناء الفحل وقد افتتحت مؤخرا ، وتبلغ طاقتها اليومية حوالي ٥٠٠٠٠ برميل .

١ – مندوب القافلة في حديث مع السيد أحمد عبد الرسول عرب مدير العلاقات العامة بوزارة الاعلام . ٢ – الأستاذ مراد علي مراد مدير عام التعليم في السلطنة . ٣ – السيد عبد الله حمد العلي مدير عام شؤون الشباب بالسلطنة في حديث مع كاتب السطور بمكتبه بالوزارة . ٤ – السيد حماد حمد الغافري مدير مكتب وزارة الاعلام وشؤون الشباب في صلالة يتحدث إلى مندوب القافلة يعقوب سلام خلال زيارة القافلة لصلالة . ٥ – الأستاذ محمود ناصر المحرزي الضابط الإداري في مستشفى خولة منطقة العاصمة في حديث مع كاتب السطور في مكتبه بالمستشفى . ٦ – الدكتور محمد علي جعفر أحد الأطباء العمانيين العاملين في مستشفى خوله خلال جولة مندوب القافلة في المستشفى .

وفي أوائل الستينات من القرن الحالي تم اكتشاف النفط في حقلي « جبال » و « ناطح » ثم تبع ذلك اكتشاف النفط في حقل « فهود » عام ١٩٦٤ .

وفي عام ١٩٦٧ جرى تصدير أول كمية من النفط العماني وأصبحت السلطنة منذ ذلك التاريخ من الدول المصدرة للنفط . وتوجد حقول النفط حاليا في مرمول ، وقرن علم ، وفهود ، والخوير ، وجبال ، والهويسة ، ونتيه ، وغابة الشمال ، وسيح نهيدة .

أما الانتاج من حقول الهويسة فقد بدأ عام ١٩٧١ ، ومن حقول قرن علم وسيح نهيده والغابة الشمالية وسيح رول وحابور في عام ١٩٧٥ . كما بدأ الانتاج من حقل الخوير عام ١٩٧٦ . وتتولى عمليات التنقيب والانتاج « شركة تنمية نفط عُمان » . ويقدر انتاج النفط في عمان بحوالي ٣٦٥ ألف برميل يوميا ، وقد أفتتحت مصفاة للنفط تقع بالقرب من ميناء الفحل ، وهو الميناء الذي يجري عن طريقه تصدير النفط العماني إلى الخارج ، وتبلغ طاقتها ٥٠,٠٠٠ برميل في اليوم .

لقد لعب النفط منذ اكتشافه في عمان حتى اليوم دورا بالغ الأهمية لجميع مراحل النمو والتطور في البلاد ، وقد أمكن عن طريق العائدات النفطية تمويل خطط التنمية التي اعتمدتها الحكومة كأساس للنهوض بالبلاد ، والاسراع في تنفيذ المشاريع التي تدخل ضمن نطاق خطط التنمية في مختلف المجالات فأنشأت الدولة المطارات الحديثة والموانىء المزودة بأحدث المعدات ، كما أنشأت شبكة من الطرق المعبدة لربط البلاد بعضها ببعض ، كذلك أمكن تأمين الرعاية الصحية والتعليم لكل مواطن في عمان . اضافة إلى ذلك فقد ازدهرت الحركة العمرانية ، فأقيمت المدن الحديثة ، ومشاريع الاسكان ، والمزارع النموذجية ، اضافة إلى المحافظة على الصناعات التقليدية التي اشتهرت بها عمان كجزء من تراثها التاريخي وخاصة السفن وبعض الصناعات اليدوية الأخرى .

ومن نافلة القول أن اكتشاف النفط في عُمان كان من النعم التي أسبغها الله سبحانه وتعالى عليها ، حيث أتاحت لها الثروة فرص التطور والتقدم وحققت لأبنائها الرفاهية والرخاء □

تصوير : علي عبد الله خليفة





بقلم: عبد الجبار محمود السامرائي / العراق

تتكون زخارف التوريق العربي – Arabesque من مجموعة من عناصر نباتية متداخلة ومتشابكة ومتناظرة بصورة منتظمة ، وتتبع نظاما خاصا في مظهرها وتكوينها. وتخضع هذه الزخرفة لظاهرة النمو ، ويحكمها التناسق والتناظر والتداخل والتشابك في الغصن الواحد أو بين الأغصان المتعددة ، كما كان الفنان يراعي في الأوراق أن تملأ الفراغات بين تلك الأغصان المتموجة ، وأن تتناسب في حجمها وأوضاعها من حيث التماثل والتقابل الذي يعتبر من المميزات المهمة لهذه الزخارف ، والذي لم يقتصر على منطقة واحدة فقط ، بل كان يشمل كل المجموعات التي تتكون منها الزخرفة ، حيث تتصل كل مجموعة زخرفية مع مجموعة مماثلة لها تجاورها أو تعلوها أو تدنوها ، إما بصورة متقابلة أو متعاكسة ، وتنتظم هذه المجموعات في شكل زخرفي واحد متكامل ومتناسق (١) .

وكلمة « التوريق » لا تعني استعمال الورق في صناعة أو صياغة بعض من المصنوعات الفنية ، أو احاطتها بالأوراق ، وإنما تعني عنصرا معينا من عناصر التشغيل والزخرفة والتشكيل النباتي ، انتشر استعماله ، في شغل مساحات أو أجزاء من العمائر وأدوات الحياة اليومية في العصور الإسلامية المتتابعة .

ان عماد التوريق العربي الإسلامي ، هو الزخارف المشكلة من أوراق النبات المختلفة والزهور ، بأساليب متعددة من الأفراد والمزاوجة والتقابل والتقاطع والتعانق ، مع تحوير في أشكال هذه الأوراق والزهور ، قد يصل إلى حد الاغراق في التجريد ، بعيدا عن شكلها الأصلي ، أو مقاربة بين حركات الأوراق على فروعها أو أغصانها ، كما لو كانت غضة نضرة في حديقة أو بستان (٢) .

قنديل زجاجي مطلي بالالوان والميناء ـ الفترة المملوكية القاهرة ، متحف الفن الاسلامي

بواعث ابتكار التوريق العربي

كراهية الإسلام للتصوير

لقد كان للفكرة السائدة عن كراهية الإسلام لتصوير الكائنات الحية أثر كبير في ظهور هذه الزخرفة المحورة عن الطبيعة . إذ يتجلى في التوريق العربي الإسلامي روح الفن الإسلامي الذي يعتمد على مزج عناصر الطبيعة مع الخيال ، وغالبا ما كان الفنان المسلم ينصرف عن العناصر الطبيعية التي كتب عليها الفناء ، فكان يسعى نحو التحرر منها بتحوير عناصرها لكي يعبر عن أحاسيسه ومشاعره وخياله الخصب في عناصر جديدة تدل على براعته وقدرته على تحقيق الانسجام بعيدا عن الاختلاف والتنافر ، موفقا في اختيار الأشكال وتجانسها (٣) .

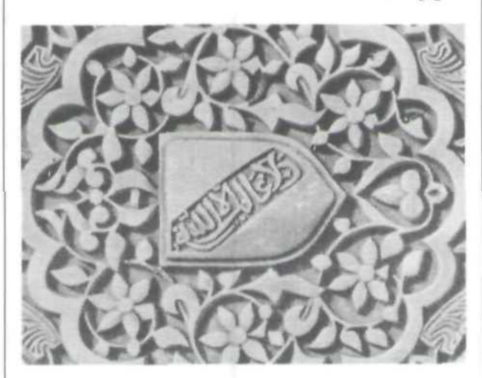
الخيال الخصيب

وإذا كان الباعث الأول لابتكار زخرفة التوريق العربي هو كراهية الإسلام لتصوير الكائنات الحية ، فان الباعث الثاني لنشوء هذه الزخرفة هو : الخيال الخصيب ، الذي ساعد على تطورها ونضوجها على أساس من الذوق السليم ، والحس المرهف والجمال الفني . وكان الفنان المسلم يسعى دوما نحو تطوير هذه الزخرفة ، حتى صارت المساحة الزخرفية الواحدة تتشكل من مجموعتين أو أكثر من الزخارف المتشابكة ، كما يظهر ذلك في زخارف مشهد زمرد خاتون ببغداد (٤) .

حقا ، ان الفنان المسلم لم يبتكر وحدات زخرفية جديدة ، بل استعمل ما وجده بين يديه من وحدات في الفنون السابقة على الإسلام ، إلا أنه رتب هذه الوحدات ترتيبا غير مسبوق ، ولاءم بينها بطريقة مبتكرة ، ونسق بين أجزائها تنسيقا جعلها تبدو كأنها شيء جديد اخترع لأول مرة ، وما هي في حقيقتها كذلك ، لقد جمع الفنان المسلم هذه الوحدات الموروثة معا ثم صهرها في بوتقته ، ومزجها بفلسفته ، وسلط عليها أشعة عبقريته وخياله ، فخرجت من بين يديه شيئا جديدا مميزا .

ان الفنان المسلم ، لم يبتكر وحدات نباتية أو حيوانية ، بل رسم الأزهار ، والأشجار ، والأوراق ، والسيقان ، والطيور ، والحيوان ، بعد أن حورها تحويرا كادت أن تفقد معه شخصيتها ، كوحدات نباتية أو حيوانية ، ولكنها وإن بعدت عن الطبيعة فلايزال لها جمال فني يدل على سعة خيـال مبدعها وصفاء قريحته (٥) .

لقد اندفع الفنان المسلم وراء خياله وهو يرسم « التوريق » ولكنه أخضع هذا الخيال إلى التوازن والتقابل والتماثل ، وهي من الأسس الرئيسية التي يقوم عليها فن الزخرفة ، فخرج « التوريق » من بين يديه رائعا ، يشدنا إلى الوقوف عنده ، كلما وقع النظر عليه (٦) . كيف لا ، وزخارف التوريق ترجمة للذات العربية .



أشكال التوريق

الخيط

وهو أسلوب على صورة مركزية تبدو على شكل وميض متناوب ، وتبدو خاصة في الجامات ذات التخطيطات الهندسية المستقيمة (٧) وهو أسلوب تغلب عليه الحصافة والحساب (٨) .

وثمة من يعتقد أن « الخيط » في « التوريق العربي » هو عمل هندسي محض ، يقوم على تعريفات واشتقاقات للأشكال الهندسية الأولى : المثلث والمربع ، والواقع أن شكل الخيط إذا كان هندسيا ، فانه ذو مضمون ثابت وليس الطابع التجريدي فيه إلا لكي يكون الشكل مطابقا للمفهوم المطلق الذي يتضمنه ، فهو يعتمد على الحدس المجرد من جميع المعطيات الحية والبعيدة عن العقل الرياضي المبني في الظاهر على علاقات جد حسابية ، وهو في الواقع ، يسعى وراء فكرة جوهرية في فكره الله الأحد ، فالنقطة المركزية هي الجوهر الذي يصدر الأشياء كلها ، وإليه ترجع جميع الأشياء (٩) .

الرمي

وهو أسلوب تغلب عليه العفوية والاسترسال ، أطلق عليه اسم « الرمي » (١٠) وهو صورة أفقية تبدو على شكل التكرار أو التناسخ (١١) .

وهذا الشكل من التوريق ، هو الصيغة التي تؤكد العفوية الابداعية عند الفنان . فهي تأويل للنبات ، أوراقا وازهارا وغصونا وعروقا ، وهي توثيق لهذه العلاقة بين الانسان والطبيعة ، فكل ما يحويه هذا الشكل لا ينفصل عن معنى الطبيعة وإن كانت الأشكال قد ارتفعت عن ذاتيتها لكي تصبح موضوعا مطلقا ، فكأنما عناصر هذا التوريق هي رموز مشتركة لعالم هذه العناصر ، عالم الأزهار والأوراق ، وهو الطبيعة أو الكون من خلال الطبيعة ، وليس من خلال أشعة الرؤية أو من خلال خيوط العقل مما رأيناه في التوريق الهندسي .

فإذا كان نظام التوريق الهندسي قد تشابك وفق اسقاطات الأشعة البصرية الالهية ، فإن هنا نظاما آخر تتواجد فيه رموز الطبيعة والكون ، لكي تؤكد على ارتباطها المستمر بقوة علوية لا مناص من الارتباط بها ، وكثيرا ما تجلت من خلال هذه العروق المورقة والمزهرة ، كلمات الله بخط كوفي أو خط لين ، كتأكيد على هيمنة الله سبحانه وتعالى ، من خلال كلامه المقدس على هذا النظام الكوني الفردوسي . فإذا كان أسلوب الخيط قد عبر عن الملأ الأعلى بأبعاده اللامتناهية ، فان أسلوب الرمي هنا يعبر عن الفردوس الأرضي موئل الانسان المؤمن المطمئن إلى الملاذ الآجل (١٢) .

عناصر فن التوريق

ورقة العنب

لو كانت ورقة العنب ذات الشعب الخمس ، عنصرا استعمله المصريون والسوريون ، قبل العصر الإسلامي ، فلما تطور المجتمع بالدعوة الإسلامية وصبغته فطرة العقيدة النابضة ، ارتاحت يد الفنان في تنسيقها عبر رسومه وتخطيطاته ، فخرجت من جمودها ، وخلعت رداءها التقليدي ، وكأنها ألقيت في مهب الريح ، فانفتحت مرة وانكمشت أخرى وهشت أحيانا ، وانبثقت أخرى ، واعتدلت أو انحرفت أو انشقت أو انبسطت واستوت أطرافها أو تضرست ، وأصبحت في بعض أشكالها نسيجا من صنع الخيال كالخيوط المتصلة أو الخروم الملتصقة (١٣) .

ورقة الصنوبر والكافور والصفصاف

ولم يكن هذا هو حظ ورقة العنب وحدها ، بل شاركتها فيه ورقة الصنوبر ، أو أوراق



الكافور أو الصفصاف ، ذوات السمت المستطيل والأطراف الرمحية المدببة ، تبدو أول الأمر مستقيمة ، ثم تنساب أطرافها في التفاف ، حتى تعود ملامسة أصلها ، تعانقه أحيانا أو تقاطعه ، مكونة أشكالا قلبية أو نجمية في تناسق يطرد أو تقابل ينفرد (١٤) .

المروحة النخيلية

لقد ظهرت براعة ونجاح الفنان المسلم في الاستفادة من عنصر « المروحة النخيلية » التي تمتاز بتكيفها في المساحة المخصصة لها وقابليتها للانشطار والتفرع والتكرار ، حيث كانت بداية هذه الزخرفة قد ظهرت بمدّ رأس المروحة وشطره إلى فرعين ، أحدهما يتجه نحو اليمين ، والآخر نحو اليسار ، لينتهيا بنصفي مروحتين متناظرتين ومتقابلتين يحيطان بالمروحة النخيلية الكاملة التي تقع وسطها ، غير أنه يمكننا القول بشيء من الاطمئنان ، بأن أول النماذج الزخرفية الاسلامية ذات طابع التوريق العربي الأصيل ، إنما يرجع إلى أوائل القرن الخامس الهجري (الحادي عشر الميلادي) حيث نرى أحد أمثلة هذه الزخرفة في فن العصر الفاطمي في مصر) (١٥) .

تطور التوريق

كانت تشكيلات التوريق أول أمرها في سورية ومصر وما وراء النهر ، مستقلة بفراغها الذي تشغله فيما يصنع الحفارون على الحجارة أو الأخشاب ، كل يحاول أن يثبت ليونة مادة صناعته في يده ، فابتكروا الحفر العميق أول الأمر ، ثم بدأ الحفر المائل في الظهور ، ثم لعبت مستويات الحفر في يد الرخام والنجار بالمادة الصلبة ، حتى قاربت الأوراق المحفورة ليونتها على الفروع والأغصان في نهاية العصر الفاطمي في مصر ، وعصر بني أمية في الأندلس ، الذي زامن الدولة الفاطمية ونافسها حضارة وفنا وعلما ، بينما تناقلت أساليب التشكيل في شمال افريقية ، خصائص مصرية وسورية فترة ، وأندلسية فترة أخرى .

وانتقلت عدوى التوريق إلى الورّاقين والمزوّقين ، أصحاب صناعة الكتاب واستنساخ الكتب ، وبدلا من ازميل الرخام وأداة النجار في حفرهما ، قامت ريشة المزوق وقلم الخطاط ، بتوزيع فروع التوريق على مسطحات الورق ، اطارات وأفاريز حول النصوص ، أو مساحات منبسطة حول العناوين وأوائل الفصول ..

وفي مراحل لاحقة من القرنين الخامس والسادس الهجريين ، أصبحت زخارف التوريق عنصرا أساسيا في واجهات العمارة وفي أبواب القصور والمساجد الجامعة ، وتكفي نظرة إلى باب المسجد الجامع بقرطبة ، وجامع اشبيلية ، أو أبواب المدارس والمساجد المملوكية في القاهرة ، لنرى روعة صناعة الحشوات النحاسية ، بين سباكة ونشر وقطع ونقش وتشكيل الزخارف التوريقية المسطحة أو المستديرة النهايات كأنما هي فروع وأغصان دقت ورقت على أشجارها .

ولعل أبواب السلطان حسن ٧٦٤ هـ (١٣٦٣ م) بما تحتوي على تلبيسات الذهب الدقيقة ، لخير دليل على سيطرة زخارف التوريق على أشغال النحاس في الأبواب والنوافذ ، وانتشارها في كثير من أبواب ونوافذ العصر المملوكي ..

وإذا كانت رحلة التوريق تطول عبر القرون ، بين مشرق العالم الإسلامي ومغربه ، فان أروع ما نراه من هذا التوريق ، سموا وتصرفا ، توريقات الزخارف في قصور الحمراء في غرناطة حيث برع فنان الزخارف الجصية في أن يشكل الأوراق بتوقيعات دقيقة التوزيع ، قوامها اسم الله الأعظم ، متقابلة ومسلسلة تسلسل التسبيح في أعقاب الصلوات ، وعلى ألسنة القائمين الذاكرين ، فأينما انتقلت عيون الناظر وراء تسلسل التشكيل التوريقي ، تابعت اسم الله رؤية وتلاوة وتسبيحا بالجمال الذي أضاءه اسم الله وزانه على سطوح الأوراق حفرا وابرازا .

كل ذلك كان عندما استقل التوريق بالتشكيل واشغال مساحات تختلف اتساعا أو ضيقا على مسطحات العمارة أو صفحات الورق ، أو الأواني المعدنية أو الخشبية أو الخزفية ، لكن البراعة في ذلك تتجلى في الجمع بين عنصر التوريق وعنصر آخر من عناصر الفن الإسلامي ، هو الكتابة الكوفية الطراز أو النسخية متعددة الأساليب .

ان التوريق في التشكيل الفني خلفية لعنصر الكتابة ، سواء أكان ذلك في العمارة أو الصحائف والأواني ، يستمر متتابعا خلف قوائم الكتابة أو كاساتها ، أو تفرعا من أطرافها شاغلا للفراغات بين القوائم — الألفات أو اللامات — والكاسات ، استدارة الحروف النائمة — كالباء والسين والصاد وأشباهها .

ان هذا التزاوج أو التبادل السطحي بين العنصرين ، فن اسلامي محض تفرد به الفنانون المسلمون ، ابتداء من القرن الثالث الهجري حتى عصرنا هذا ، بل عنهم أخذه فنانو الغرب في توابع عصر نهضتهم فيما تلا القرن الخامس عشر الميلادي ، وكان أكثر استعمالهم له في صفحات المخطوطات والمدونات الكنسية على وجه الخصوص قبل أن ينتشر بانتشار الطباعة في كثير من المطبوعات .

ولقد برز جهد الفنان المسلم حين خالف

بين مستويات الكتابة ومستويات التوريق ، خلفيات أو تفريعات ، واشتهرت واجهات العمائر في ذلك الباب حفرا على الرخام أو الحجر ، أو ترابيع الخزف الملون على الجدران أو القباب أو المنابر ، كما انتشر ذلك الأسلوب في طرازات الكتابة الجصية داخل القباب وايوانات المساجد وساحات القصور . ولعل أبرز مثالين على ذلك ، مثال مملوكي : هو طراز سورة الفتح في مسجد أو مدرسة السلطان حسن بن الناصر بن محمد ابن قلاوون بالقــاهرة . ومثال أندلسي من العصر النصري – بني نصر بن الأحمر – هو طراز من شعر الوزير الغرناطي محمد بن زمرك في مــدح السلطان الغني بالله على جــدران قاعات الحمراء .

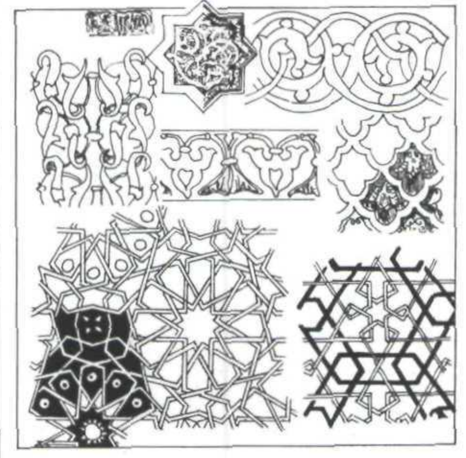
•• **فالمثال الأول :** طراز طوله يقرب من أربعين مترا ، يشغل جدران رواق القبلة ، مبتدئا بالصدر الأيمن ومنتهيا بالصدر الأيسر للايوان بارتفاع يقارب المتر ، وقوام ذلك الطراز : آيات من سورة الفتح مبتدئا بالاستعاذة والبسملة ، منتهيا بالتصديق ، كتبت بالخط الكوفي المملوكي ، فريد في تشكيله ، عريض القوائم طويلها ، مستقيم الكاسات قليل الاستدارات ، محدود الفواصل بين الحروف ، افترشت خلفية من التوريق الرقيق المتتابع في دوائر لا نهائية ، حتى ليظن المتتبع لتسلسله تحت الآيات ، أنه بدأ مع الاستعاذة بالله من الشيطان الرجيم ولم ينته إلا بانتهاء الآيات بالتصديق – صدق الله العظيم .

وإذا كانت الحروف والكلمات تشكل السطح أو المستوى الأعلى ، فان التوريق خلف الحروف ، يكون مستويا خلفهما ، ويتميز برشاقة الفروع واكتناز الأوراق ، وتنوعها بين المصمت والمفرغ والمخرّم ، حتى أصبح التوريق – بل تشكيل الطراز كله – آية في رقة التقابل والتقاطع والانثناء والانفراج .

وقد اشتهرت هذه الفترة من العصر المملوكي بهذا اللون من التوريق ، وخاصة العمائر التي أقيمت في عصر القلاوونيين – المنصور قلاوون ٦٨٣ هـ (١٢٨٤م) ، ثم ابنه الناصر محمد ، ثم ابنه السلطان حسن بن محمد بن قلاوون ، وكانت كلها عمائر فارهة حوت ألوانا من الفنون ، واقتبست كثيرا من العناصر المعمارية والفنية التي اشتهرت في ربوع الأندلس ، وأظهر هذه العناصر ، طراز الجص المشغول بالتوريق ، وطرازات الكتابة النسخية أو الكوفية ذات الخلفيات المورقة .

•• **أما المثال الثاني :** فلا تكاد تخلو منه ساحة من ساحات الحمراء أو قاعاته ، قوامه أبيات من قصائد « ابن زمرك » في مدح سلاطين بني نصر – آخر حكام الأندلس عامة ، وغرناطة خاصة – من ملوك المسلمين .

والكتابة كلها نسخية على خلفية مورقة بعرض ستين سنتيمترا تقريبا ، نسخ مغربي طويل القوائم لينها ، والتوريق من أوراق الصفصاف في انحناءات واستقامات حرة التشكيل ، حرة التعانق والانفراد ، في سطوح أو مستويات ثلاثة تحت مستوى الكتابة حفرت على الجص في رقة ودقة وليونة بلغت حد الروعة .



وزاد من روعة التشكيل تصوف الفنان ، حين جعل سطوح أوراق الصفصاف ، مخرمة تخريما فريدا في رقته ، قوامه لفظ الجلالة ، في تكرار وتتابع وانسياب بديع ، وهو بحق توريق مسبح ، يملك على كل ناظر إليه لبه ، وكان الفنان حين وقع ذلك التشكيل الفني ، يؤدب « ابن زمرك » فيقول له أنت تمجد السلاطين الزائلين ، وأنا أمجد العلي الباقي ..

ويكمل ذلك المثال مجاورة أو مناوبة ، اطارات متفاوتة الأبعاد والأشكال تحوي العبارة الأندلسية المشهورة « ولا غالب إلا الله » شعار بني نصر ، وعبارة « الحمد لله على نعمة الإسلام » في تراكيب متشابكة من الكوفي المضفر أو النسخ المتطاول ، خلفياتها بسط التوريق المخرم (١٦) .

الخاتمة

يتضح لنا من كل ذلك بأن التوريق العربي هو ابتكار عربي اسلامي أصيل في أساسه وتكوينه وفكرته (١٧) ، فقد اتجه الذهن العربي بنظرته الحدسية إلى الكشف عن الجوهر الكوني المتصل الذي لا يقبل التجزئة ولا التباين . وهذا الكشف يتم بالغاء الجوانب الحسية الزائلة من شخص الانسان ومن الطبيعة على السواء ، فلقد كانت الملامح الحسية تعيق الحدس عن ادراك غايته وهي الجوهر الحق ، بل تصرفه إلى التعلق بالمظاهر الواقعية والمكانية فتجعل منه حسا مرتبطا بالغرائز والميول (١٨) .

حقا ان زخرفة التوريق ، تقوم على وحدات زخرفية قديمة ، إلا أن الفنان المسلم رتب تلك الوحدات ترتيبا جديدا مبتكرا ، ونسق بينها تنسيقا بديعا ، وأخرجها اخراجا رائعا وطبعها بطابع عربي اسلامي مميز موضوع وفق نظام هندسي بديع (١٩) .

وسيظل التوريق العربي الإسلامي ، قرة عين كل محب لفن تصوفي ، ولكل من يسبح لخالق الكون مصور الكائنات من ورقة الشجرة ، وبرعم النبت والزهرة ، إلى أوسع ما في الملكوت من المجرات في كبد السماء (٢٠) □

---

(١) خالد خليل حمودي الاعظمي : الزخارف الجدارية في آثار بغداد ، ص/١٣٨–١٣٩ منشورات وزارة الثقافة والاعلام – بغداد ، ١٩٨٠ .
(٢) د . عبد المجيد وافي : زخارف التوريق من روائع الفنون الإسلامية ، مجلة (الفيصل) العدد (٤٢) ، ص/١١٣ .
(٣) المصدر الأول ، ص/١٣٩ .
(٤) المصدر الأول ، ص/١٤٠ .
(٥) د . محمد عبد العزيز مرزوق : الفن الإسلامي تاريخه وخصائصه ، ص/١٨٠ مطبعة أسعد ، بغداد ١٩٦٥ م .
(٦) نفس المصدر ، ص/١٨٢ .
(٧) د . عفيف بهنسي : جمالية الفن العربي ص/٧٧ سلسلة (عالم المعرفة) ، الكويت ١٩٧٩ م .
(٨) نفس المصدر ، ص/٧٩ .
(٩) نفس المصدر ، ص/٨٠ .
(١٠) نفس المصدر ، ص/٧٩ .
(١١) نفس المصدر ، ص/٧٧ .
(١٢) نفس المصدر ، ص/١٠١ .
(١٣) المصدر الثاني ، ص/١١٥ .
(١٤) المصدر الثاني ، ص/١١٥ .
(١٥) المصدر الأول ، ص/١٣٩ – ١٤٠ .
(١٦) المصدر الثاني ، ص/١١٦ – ١١٨ .
(١٧) المصدر الأول ، ص/١٤٠ .
(١٨) المصدر السابع ، ص/٧٦ – ٧٧ .
(١٩) المصدر الأول ، ص/١٣٩ .
(٢٠) المصدر الثاني ، ص/١١٨ .

أضواء على النمو النفسي للطفل

بقلم: رئيفة شبلاق / بيروت

النمو الانساني هو عبارة عن تغيرات تشمل النواحي الجسمية ، والعصبية ، والنفسية ، وكذلك علاقاته الاجتماعية . وهذه التغيرات تسير نحو تحقيق هدف ضمني هو النضج ، وذلك ضمن نسق معين ، ونظام واحد .

وكل مرحلة من مراحل النمو الانساني لها خصائص نفسية تعتمد على نمو الجهاز العصبي ، وعلى الطفل نفسه ، وعلى الظروف البيئية المحيطة به . فالنمو النفسي يحدث من خلال التفاعل بين الطفل والواقع الموضوعي .

وخلال عملية النمو والانتقال من مرحلة سابقة إلى مرحلة تالية ، تحدث تغيرات عضوية وغير عضوية ، حيث تختفي بعض الصفات ، وتظهر صفات جديدة . وكثير من هذه الصفات الجديدة تظهر نتيجة للتفتح الطبيعي لصفات تكون كامنة لدى الطفل منذ ميلاده ، أو تكون غير مكتملة النمو في المرحلة السابقة . وصفات جديدة أخرى تظهر لدى الطفل يكتسبها بالتعلم من البيئة المحيطة به . والنمو سواء كان جسميا أو عقليا ، عملية واحدة ديناميكية مستمرة ، ولكنها تختلف في مدى سرعتها في التقدم من مرحلة إلى أخرى . فالجنين في الرحم ينمو بسرعة فائقة ويتحول خلال تسعة أشهر من خلية ميكروسكوبية إلى وليد يبلغ طوله حوالي ٥٠ سنتيمترا . ثم يصبح النمو بطيئا جدا بعد الولادة مباشرة لمدة أسبوعين ، يعتاد خلالها الوليد على البيئة الجديدة خارج الرحم ، ثم تطرأ سرعة فائقة على معدل النمو في الثالثة ، ويبقى النمو على هذا المعدل حتى سن السادسة حيث يتباطأ بعد ذلك . وهذا النمو الجسمي يرافقه نمو نفسي ، وانفعالي ، ووجداني . بحيث يكون لكل عمر زمني مستوى معين من النضج ، يتميز بخصائص معينة . وتختلف احتياجات الطفل من مرحلة إلى أخرى ، وبالتالي تختلف استجاباته لدى تلبية هذه الاحتياجات . فالجنين في بطن أمه يحصل على احتياجاته عن طريق الأم وحينما يولد ، ويغادر محيطه الدافيء الذي كان يقدم له كل شيء ، ويبقيه على قيد الحياة ، فان عليه أن يبذل جهدا ليبقى في حالة توازن ثابتة . ولهذا السبب فان نمو الوليد خلال الأسبوعين الأولين بعد الولادة يسير ببطء لأن حالة التوازن هذه تختل منذ لحظة ولادته . إلى أن يعتاد على الجو المحيط به ، فتعود حالة التوازن إلى طبيعتها .

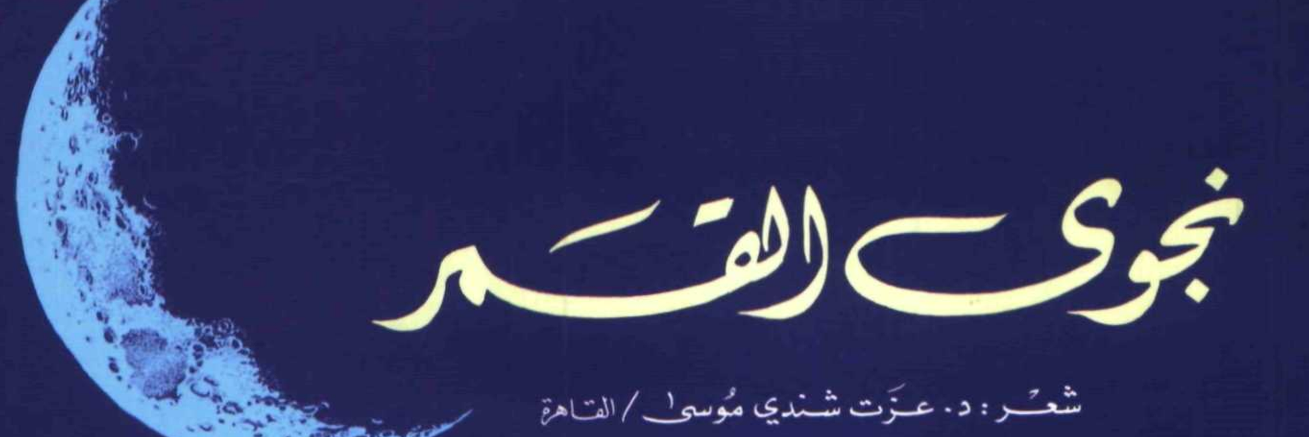
ان الطفل الحديث الولادة لا يملك الشخصية ذات التكوين النفسي بعد ، ولكنه يأخذ بالنمو نفسيا ضمن ظروف البيئة التي تحيط به ، والأشخاص الذين يلبون حاجاته الفسيولوجية . وأول علاقة له بمحيطه هي علاقته بأمه . فأحاسيسه تنمو تجاهها انطلاقا من مسار نموه الجسمي والنفسي . فأحاسيس الطفل العضوية هي التي تحدد مشاعره وعواطفه الأولى ، والعاطفة لديه تنبع من أحاسيسه الجسمية وتختلط بها اختلاطا مبهما ، أي أنه يشعر تجاه الأشخاص المحيطين به من خلال تلبيتهم لحاجاته الجسمية ، فهو يشعر تجاه أمه على أنها مصدر للغذاء ، والفم في هذه الفترة هو مركز أحاسيسه واهتماماته ، ولذلك فانه يقدر بأحاسيسه هذه القيمة الحيوية لفمه ، مما يزيد من روابطه الحسية تجاه أمه . وبما أن الأم هي مصدر رفض أو قبول تلبية هذه الحاجة الحسية ، فهي التي تعمل على بلورة أحاسيسه ومشاعره ليس تجاهها فقط ، بل تجاه العالم المحيط به كذلك . وهكذا فان البيئة الاجتماعية المحيطة بالطفل هي التي تحدد مسار نموه النفسي ، والوجداني والخلقي . حيث تنشأ لديه نتيجة اشباع أو عدم اشباع حاجاته من قبل المحيطين به ، مجموعة من المشاعر والاحساس بالأمن أو الخوف ، بالحنان أو القسوة ، بالحب أو الضيق تجاههم .

ومن هنا يجب الانتباه إلى عملية نظام الطفل عن الرضاعة ، سواء كان ذلك عن طريق الثدي أو زجاجة الرضاعة . إذ أنه نتيجة لتركيز الحساسية الطفولية في الفم ، فهي تعتبر اذن حساسية عضوية ، ولذلك فإنه يشعر بالأشخاص والأشياء على أنها جزء عضوي منه . وهكذا فان ابتعاد أمه عنه ولو لفترة قصيرة ، يشعره بالقلق وعدم الأمان ، ويعتبره نوعا من التهديد العضوي والنفسي له . ونحن نرى في كثير من الأحيان اعتياد بعض الأطفال على مص ابهام اليد كنوع من التسلية أو العزاء ، كما أن هناك بعض الأطفال لا يستطيعون النوم دون أن يمسك الواحد منهم بجسم أمه ، أو حتى بطرف من ملابسها ، وغير ذلك من مظاهر التعلق العضوي بالأم .

النمو الانفعالي والعقلي

في سياق النمو النفسي للطفل ينمو انفعاليا وعقليا . والانفعالات لدى الطفل الحديث الولادة لا تكون واضحة محددة طوال الأشهر الأولى من عمره . ولا يمكن تمييز انفعال محدد نتيجة استجابته لمنبهات معينة من الخارج ، بل ان الاستجابة الانفعالية له ليست سوى تهيج عام لا يتبلور منه انفعال محدد بالذات . والطفولة المبكرة زاخرة بالانفعالات خاصة بعد أن يترك الطفل حضن أمه ، أي بعد أن تتحول علاقته بأمه من علاقة فسيولوجية محضة إلى علاقة عاطفية مستقلة عن حاجاته الفسيولوجية والمطالب النفعية له . وتصبح الأم في ذاتها موضوعا لحبه بعد أن كانت وسيلة لتلبية حاجاته ، ويصبح هذا الحب مثار العديد من الانفعالات كالخوف من فقدانها ، والغيرة من أبيه ، والحقد على أخيه الأصغر مثلا ، وشعوره بالغضب من الأم والأب عندما يعرقلان نشاطا له ، وغير ذلك .

ثم أن الطفل خلال عملية النمو النفسي هذه يشعر بما يعترضه من مشكلات ، ويبذل جهده لحل هذه المشكلات بشكل يتناسب مع مستوى تفكيره وقدرته على التفكير في المستوى الحسي طبعا ، لان التفكير المعنوي المجرد لا يكتسب إلا بعد أن يكتسب الطفل القدرة على استعمال اللغة . فحل المشكلات يعتمد على التفكير ، والتفكير لدى الطفل في مرحلة الطفولة المبكرة يعتمد على الخيال ، وخيال الطفل واسع جدا ، بحيث تتتابع الصور الذهنية في مخيلته وتتلاحق وتكون على درجة كبيرة من الوضوح إذا ما قورنت بالصور الذهنية لدى الكبار . وهذا ما يجعل التمييز بين الخيال والواقع أمرا صعبا على الأطفال . وخيال الطفل وأحلام اليقظة لديه مشحونة بالانفعالات ، وهي إن كانت تخدم التفكير في حل جانب من المشكلات التي يواجهها إلا أنها تعمل أكثر على خدمة الدوافع والرغبات لديه . ولهذا فإن خيال الطفل وإن كان قليل الفائدة للتفكير المنطقي العقلاني ، إلا أنه أمر حيوي لحياة الطفل النفسية في هذه الفترة من مراحل نموه ، ذلك أن الخيال ضروري لاشباع حاجاته النفسية ، وخاصة تلك التي لم تحظ بالاشباع في عالم الواقع . فالطفل بخياله يحقق رغباته المكبوتة مما يخفف من حدة التوتر النفسي لديه . ولذلك يعتبر الخيال صمام الأمان لصحته وسلامة تفكيره □



نجوى القمر

شعر : د. عزت شندي موسى / القاهرة

كم دارَ حولكَ مجلسُ السّمار ... وسمَتْ اليكَ مسارحُ الأفكار
ورنتْ لنورِك في الظلام مَحاجرٌ ... وهفتْ إليكَ لواحظُ النظّار
وسرَى بهديكَ في الفلاةِ مسافر ... فبقيت هَدْيَ الرّحْلِ في الأسفار

* * *

يا بدرُ قد آذوكَ حين تطاولوا ... وسَموا إلى مسراكَ في اصْرار
غرسوا بتربك مالَهم وعلومَهم ... لكنّهم غرسَوا .. لغَيْر ثمار
فجعوا الألى عشقوا سناكَ .. وشوّهوا ... مُذْكي الخيال ومَنْبَعَ الأشَعار
بل دنّسوا طُهْرَ الفضاء وعكّروا ... صَفْو الضياءِ ومرتَع الأطيار

* * *

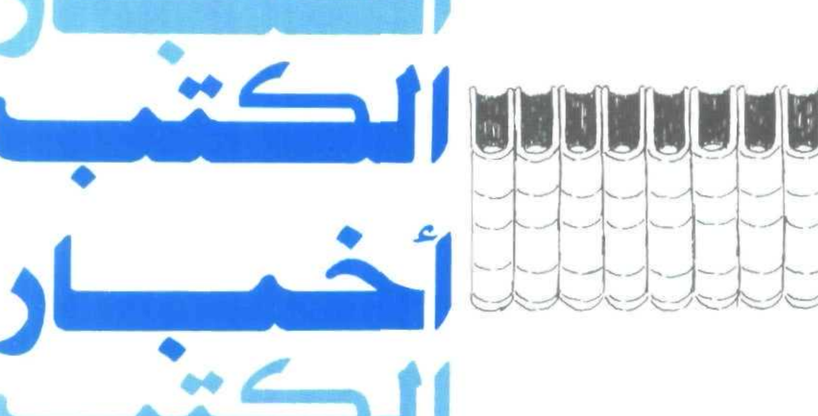
يا أيها الروادُ كيفَ لحقْتُمو ... قَمرَ السّما .. في لَيلة ونهار ؟!
بل كيفَ حلّقَت (السفينة) مثلما ... نسرٌ يحلّقُ دون أيّ عَثار
ماذا سمعتُم عِندَه .. هل أطربَتْ ... أسماعَكم وُرْقٌ وشدْوُ هزار
ماذا وجدتمُ في ثراه .. أأسْفرَت ... أبحاثُكمْ عن فضة ونضَار ؟!
ولّى زمانُ العير دون توقّف ... وبإثْرِه .. ولّى زمانُ بُخار
وستسرعُ الدّنيا على عهد بها ... وسينقضي منها زمانُ قطار
ونرى محطاتِ الفضاءِ كأنها ... في الجو قد حلّتْ محَلّ مطار

* * *

هل آمنَ الروادُ لما شاهدوا ... صوراً بدَتْ من قُدْرة الجبّار
الله رائدُهم ونبعُ علومهم ... ونجاحهم قدرٌ من الأقْدار
لو شاءَ لم تثبتْ بغيرِ حواجزٍ ... بين الرياح الهوج والإعْصار
أو شاء لم ترفَعْ بغيرِ روافع ... وهَوَيْتَ في قاع بغَيرِ قرار
ما أنتَ إلا واحدٌ .. بعوالمٍ ... لم يَدْرِ عدّتَها سوى القهّار
آمنت أن الكونَ دانَ لخالقٍ ... ربّ الشموسِ ومُبْدع الأقمار

* * *

يا أيها الفضّيُ خُذْ لي ملْجأً ... بذراكَ .. يُنجيني من الأكْدار !





* شرع الأستاذ الشيخ ابراهيم القطان قاضي القضاة في الأردن في نشر كتابه الجديد « تيسير التفسير » الذي يقدّم به محاولة جديدة في تفسير القرآن الكريم تفسيرا يسيرا . وقد صدر الجزء الأول من هذا الكتاب مطبوعا طباعة فاخرة في مطابع الجمعية العلمية الملكية بالأردن ، وأشرف على طباعته الأستاذ عمران أحمد أبو حجلة .

* ومن الكتب الدينية الجديدة التي صدرت « الإسلام في معركة الحضارة » للأستاذ منير شفيق ونشر دار الكلمة ببيروت ، و « التعليم الإسلامي وحركة الإصلاح في جامعة الزيتونة » للعلامة الراحل الطاهر الحداد وتحقيق وتقديم الأستاذ محمد أنور بو سنينة ونشر الدار التونسية ، و « الفقه عند الشيخ الأكبر محي الدين بن العربي » للأستاذ محمود الغراب ونشر مطبعة زيد بن ثابت بدمشق ، و « القرآن والفلسفة » للراحل الدكتور محمد يوسف موسى ونشر دار المعارف ، و « محمد وتنظيم الحياة » للأستاذ محمود شلبي ونشر الدار التونسية .

* أعاد مجمع اللغة العربية الأردني طبع مجموعتين للمصطلحات قام بإعدادهما هما : « تعريب رموز وحدات النظام الدولي ومصطلحاتها » و « مصطلحات الأرصاد الجوية » .

* من كتب التّراث التي صدرت أخيرا : « الحلبة في أسماء الخيل المشهورة في الجاهلية والإسلام » لمحمد بن كامل التاجي الصاحبي وتحقيق الدكتور عبد الله الجبوري ونشر النادي الأدبي بالرياض ، و « المقنع في الفلاحة » لابن حجاج الاشبيلي وتحقيق الأستاذين صلاح جرار وجاسر أبو صفية وإشراف الدكتور عبد العزيز الدوري ونشر مجمع اللغة العربية الأردني .

* كما أعادت دار المعارف طبع طائفة من كتب التّراث هي : « مجالس ثعلب » وهو في جزئين من تحقيق الأستاذ عبد السلام محمد هارون ، والجزء الأول من « المغرب في حلي المغرب » لابن سعيد المغربي وتحقيق الدكتور شوقي ضيف ، و « الفصول اليانعة في محاسن شعراء المائة السابعة » من تحقيق الأستاذ ابراهيم الابياري .

* من الدراسات الأدبية التي صدرت أخيرا : « خصائص الأسلوب في الشوقيات » للأستاذ محمد الهادي الطرابلسي ونشر الجامعة التونسية ، و « مي زيادة وأعلام عصرها — رسائل مخطوطة لم تنشر ١٩١٢ — ١٩٤٠ » ، وقد قامت بجمع هذه الرسائل وترتيبها وفهرستها وتحقيقها كما قدمت لها الأديبة السيدة سلمى الحفار الكزبري ، ونشرت الكتاب مؤسسة نوفل في بيروت ، و « مصادر التفكير النقدي والبلاغي عند حازم القرطاجني » للدكتور منصور عبد الرحمن ونشر مكتبة الانجلو المصرية ، و « الصورة الفنية في شعر دعبل بن علي الخزاعي » للدكتور علي ابراهيم أبو زيد ونشر دار المعارف ، و « النقد الفني — دراسة جمالية وفلسفية » لجيروم ستولنيتز وترجمة الدكتور فؤاد زكريا ونشر الهيئة المصرية العامة للكتاب ، و « عالم الشعر » للأستاذ علي شلش ونشر دار المعارف ، و « الوراقة والورّاقون في التاريخ الإسلامي » للأستاذ لطف الله قاري ونشر المكتبة الصغيرة لدار الرفاعي بالرياض ، و « الرؤية النقدية » للأستاذ محمود منقذ الهاشمي ونشر اتحاد الكتاب العرب بدمشق ، و « دراسات تمهيدية في الرواية الانجليزية المعاصرة » للدكتور رمسيس عوض ونشر دار المعارف .

* نال الأديب التونسي الأستاذ نور الدين صمود درجة الدكتوراة من كلية

الشريعة وأصول الدين بتونس عن أطروحة عنوانها «تأثير القرآن في شعر المخضرمين».

* صدرت في لندن باللغة العربية مجلة فاخرة الطبع والاخراج والتنسيق عنوانها «فنون عربية» وهي مجلة فصلية تعنى بمتابعة الفنون العربية بجميع أشكالها وعصورها .. ويرأس تحريرها الأستاذ جبرا ابراهيم جبرا ، ويتولى إدارة التحرير الشاعر الأستاذ بلند الحيدري .

* من الكتب التربوية التي صدرت أخيرا : «اتجاهات التربية في البلاد العربية على ضوء استراتيجية تطوير التربية العربية» للدكتور منير بشور ونشر المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم في تونس ، و «الاتجاهات المعاصرة في دراسة الأسرة» للدكتورة علياء شكري ونشر دار المعارف ، و «تساؤلات ومقالات تربوية» للدكتور يوسف القاضي ونشر شركة مكتبات عكاظ .

* الكتاب الكبير المعنون «الصلات بين العرب والترك والفرس» الذي أصدره الدكتور حسين مجيب المصري يقوم بترجمته إلى اللغة التركية الدكتور مصطفى فائدة ، الأستاذ المساعد بكلية الإلهيات بجامعة استنبول .

* من الكتب التي تتناول الفنون وصدرت أخيرا كتاب «الموسيقى في الحضارة المغربية» من تأليف بول هنري لانج وترجمة الدكتور أحمد حمدي محمود ونشر الهيئة المصرية ، و «الفن الحديث .. محاولة للفهم» للدكتور نعيم عطية وقد صدر في سلسلة «اقرأ» لدار المعارف ، و «الفن الاغريقي : المجلد السابع من موسوعة تاريخ الفن» للدكتور ثروت عكاشة ونشر الهيئة المصرية.

* ظهر للأستاذ محمد العروسي المطوي كتاب «سيرة القيروان .. رسالتها الدينية والثقافية في المغرب الإسلامي» وقد نشرته الدار العربية للكتاب .

* في الأدب الروائي صدرت الكتب التالية : «المعابر» مجموعة أقاصيص للأستاذ أمين ريان ونشر الهيئة المصرية ، و «ويبقى السؤال» أقاصيص للأستاذ جلول عزونة ونشر الدار العربية للكتاب ، و «بهلول» أقاصيص للأستاذ توفيق فياض ونشر المؤسسة العربية للدراسات في بيروت ، ورواية «لكن شيئا ما يبقى» للأستاذ فتحي أبو الفضل ونشر دار المعارف ، و «الرحيل إلى الزمن الدامي» رواية للأستاذ مصطفى المدائني ونشر الدار العربية للكتاب ، و «رحلة خارج اللعبة» رواية للأستاذ فتحي الابياري نشرت في عدد خاص من مجلة «القصة» كما صدرت مسرحية «نقيب كوبينيك» لكارل تسوكماير من ترجمة الدكتور عبد السلام اسماعيل ومراجعة الدكتور مصطفى ماهر ونشر سلسلة «من المسرح العالمي» الكويتية .

* «الشاعر أحمد رامي : حياته وشعره» موضوع أطروحة الدكتوراة التي يعكف على إعدادها الأديب الشاعر اللبناني الأستاذ فوزي عطوي .

* بعدما فرغ الدكتور أحمد محمد الحوفي من نشر ديوان شوقي محققا ومفهرسا ومشروحا بطريقة علمية حديثة ، عكف على توجيه مثل هذه العناية نفسها إلى المسرحيات الشعرية لشوقي ، لاسيما وأن معظمها نشر بعد وفاة شوقي وتعرض للتصحيف والخطأ .

* صدر الجزء الأول من المجموعة الشعرية الكاملة للشاعر الشيخ صقر القاسمي ، وقد نشرته دار الشروق .

* من المجموعات الشعرية التي صدرت أخيرا : «ديوان أحمد خير الدين وأغانيه» وهو من شعراء تونس الراحلين ، وقد نشرت الديوان بمقدمة للمرحوم عثمان الكعاك الدار التونسية للنشر ، و «الحرف التائه» للأستاذ عبد الله السيد شرف وقد صدر عن مجلة «أصوات» و «همسات إلى الزمن الهارب» للأستاذ البشير المشرفي وقد صدر في عدد خاص من مجلة «الاخلاء» التونسية . وتحت الطبع ديوانان جديدان للشاعر حسن كامل الصيرفي هما «زهور لا تذبل» و «قطرات الندى» .

* ترجم الدكتور عيسى الناعوري مجموعة من شعر الشاعرة سلمى الحفار الكزبري إلى اللغة الايطالية ونشرت مقدمة للمستشرق فرنشسكو جابرييلي عن مركز ثقافة البحر المتوسط في ايطاليا .

* في الدراسات الأدبية صدرت مجموعة من الكتب منها : طبعة جديدة من «العصر الإسلامي» وهو حلقة من دراسات الدكتور شوقي ضيف في تاريخ الأدب العربي نشرتها دار المعارف ، و «التفكير البلاغي عند العرب : أسسه وتطوره إلى القرن السادس» للأستاذ حمادى صمود ونشر الجامعة التونسية ، و «تاريخ الآداب العربية» للمستشرق كارلو نللينو ونشر دار المعارف ، و «القصة عند عبد الحميد جودة السحار» للأديبة فاطمة الزهراء الموافي ونشر مكتبات عكاظ ، و «المراثي الشعبية» للدكتور عبد الحليم حفني ونشر الهيئة المصرية ، والجزء الأول من «شرح الشعر الجاهلي» للدكتور أحمد جمال العمري ونشر دار المعارف ، و «نحو نقد أدبي معاصر» للدكتور عيسى الناعوري ونشر الدار العربية للكتاب . كما تصدر طبعة جديدة من كتاب «بناء القصيدة العربية» للدكتور يوسف بكار .

* من كتب التربية وعلم النفس التي صدرت أخيرا : « التعليم في المملكة العربية السعودية بين التقليد والتجديد » للدكتور صبحي عبد الحفيظ قاضي ونشر شركة مكتبات عكاظ ، وطبعات جديدة عن « علم النفس الفردي : أصوله وتطبيقه » للدكتور اسحق رمزي ، و « علم النفس والأدب » للمرحوم الدكتور سامي الدروبي ، و « تفسير الأحـلام » لسيجموند فرويد وترجمة الدكتور مصطفى صفوان ومراجعة الدكتور مصطفى زيور ، وكلها من نشر دار المعارف .

* حول الحجاز صدرت ثلاثة كتب هي « الرحلة الحجازية » في جزءين للمرحوم محمد السنوسي وقد حققها الدكتور علي الشنوفي ونشرتها الشركة التونسية للتوزيع و « في ظلال الحرمين » للأستاذ محمد كامل حتة ، و « الطريق إلى يثرب » للأستاذ محمد فرج ، وهما من نشر دار المعارف .

* من روّاد المسرح المعاصر الكاتب الراحل إبراهيم رمزي . وقد نشرت له دار الهلال كتابان بعنوان « مسرح إبراهيم رمزي » ضم مسرحيتين له وقدّم للكتاب الأستاذ أحمد نجيب هاشم ، وفي الأدب الروائي صدرت الكتب الآتية : رواية « أرملة في ثياب بيضاء » للأستاذ عدلي فهيم ونشر روز اليوسف ، ورواية « الواجهة » للدكتور يوسف عز الدين عيسى وطبع الاسكندرية ، و « المعلم علي » رواية للأستاذ عبد الكريم غلاب ونشر الدار العربية للكتاب ، ورواية « رحلة خارج اللعبة » الأستاذ فتحي الابياري ونشر مجلة القصة .

* مسرحية شعرية جديدة عنوانها « أبو بكر الشبلي » صدرت للأستاذ عدنان مردم .

* بمناسبة احتفال مجمع اللغة العربية في القاهرة بمرور خمسين عاما على تأسيسه ، أخذ يعد العدة لإصدار مجموعة من نفائس الكتب ، التي تخلد هذه المناسبة ، وتعبرّ عن الرسالة العلمية التي حملها هذا المجمع منذ انشائه في عام ١٩٣٢ ، تضع في متناول القارىء ثمـار الجهود العلمية التي نذر المجمع نفسه لهـا متحصنا من التيارات والأهواء المختلفة .

وكانت باكورة هذه المطبوعات كتاب « مع الخالدين » الذي ألّفه الأديب الدكتور إبراهيم بيومي مدكور رئيس المجمع ، وسجّل فيه تاريخ المجامع في الخارج وفي البلاد العربية وعرف بمجمع القاهرة والمراحل التي اجتازها ، ثم اثبت الدراسات التي القاها إما في استقبال الأعضاء الجدد عند انضمامهم إلى عضوية هذا المحفل ، وإما في توديع الراحلين منهم .

ومما يزيد في قيمة هذا الكتاب ان الدكتور مدكور زامل طائفة من مؤسسي المجمع ، وعاش مع روّاده الأوائل ، وشارك في أعماله اليومية عضوا عاملا وأمينا عاما ورئيسا ، وقضى في هذا الجو العلمي ما يكاد يقرب من أربعين عاما — فهو عضو في المجمع منذ عام ١٩٤٦ وكان ومازال المحرّك النشط لكثير من أعماله .

وفي الكتاب فصول عن طه حسين والعقاد وعلي عبد الرازق وحسن حسني عبد الوهاب ومحمد رضا الشبيبي ومصطفى جواد وأمين الخولي والبشير الابراهيمي وجميل صليبا ومنصور فهمي ومحمد الفاضل ابن عاشور ومحمد القاسمي ومحمد كامل حسين والحبيب بلخوجة ولطفي السيد وأنيس الخوري المقدسي وعلي الخفيف وعثمان أمين وزكي المهندس . والكتاب مطبوع في الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية .

* صدرت طبعة ثانية منقحة مزيدة من « قاموس العادات واللهجات والأوابد الأردنية » من تأليف الأديب الأستاذ روكس بن زائد العزيزي . وتقع الطبعة الجديدة كسابقتها في ثلاثة أجزاء ضخام ، وفيها مقدمة شعرية للمؤرخ جعفر الخليلي ومقدمتان بالعربية والافرنسية للمرحوم محمود سيف الدين الايراني والأب الدكتور ميشيل صباح .

والقاموس ثمرة جهد شخصي بذله محققه العزيزي في أكثر من أربعين عاما لرصد اللهجات والأوابد في بادية الأردن وردّها إلى أصولها العربية وشرح معانيها الدارجة وتحليل مفرداتها من الناحيتين اللغوية والحضارية .

وقد طبعت الكتاب مديرية المطابع العسكرية في عمان وأخرجته اخراجا جميلا . وفي الوقت عينه تصدر قريبا للعلامة العزيزي « معلمة للتراث الأردني » تقع في خمسة أجزاء ضخام وتنشرها وزارة الثقافة والشباب الأردنية تكريما لواضعها .

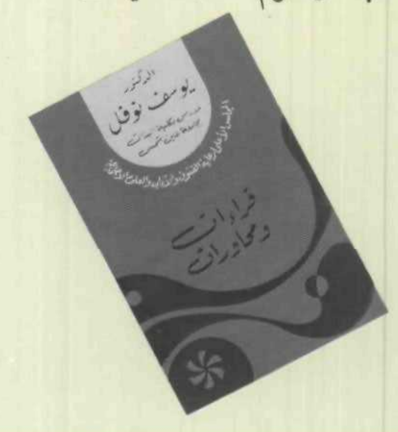
* فرغت دار المعارف من إصدار الطبعة الجديدة من « لسان العرب » لابن منظور مرتبة ترتيبا حديثا على حروف المعجم ، بتحقيق لجنة من المتخصصين على رأسها العلامة الأستاذ عبد الله كبير . وقد وقع المعجم في ستة مجلدات ضخام وسيلحق به جزء منفرد يضم فهارس الآيات القرآنية والأعلام والأماكن وقوافي القصائد .

* ومما يذكر أن الأديب حسين علي محمد يعد رسالة ماجستير عن « المسرح الشعري » لعدنان مردم .

وقد صدر لحسين علي محمد ديوانان جديدان هما « شجرة الحلم » نشر الهيئة المصرية و « عنتر والعاصفة » نشر سلسلة كتابات الغد □

كتب مهداة

* « قراءات ومحاورات » للدكتور يوسف نوفل تضمن قراءات رزينة في الأدب الكويتي في مجال القصة القصيرة وفي الرواية المصرية والأدب الحديث وقراءات اسلامية اضافة إلى محاورات رصينة مع عدد من الأدباء في الكويت ، والكتاب من اصدار المجلس الأعلى لرعاية الفنون والآداب والعلوم الاجتماعية □



* « قراءة في ديوان الشعر السعودي » للدكتور يوسف حسن نوفل ، وهو سلسلة كتاب الشهر للنادي الأدبي بالرياض تحدث فيه عن الشعر السعودي المعاصر وما تضمنه من محافظة على التراث والقيم ومحاولة التجديد والنمو والتصرف في القوافي والأوزان □



* عن مكتبة لبنـــان صدر معجم مصطلحات الاقتصاد والمـــال وإدارة الأعمال انجليزي / عربي من إعداد الأستاذ نبيه غطاس . وقد حوى المعجم على مرجع شامل لمصطلحات في الاحصاء ، وإدارة الأعمال ، والاستثمار ، والاعلان ، والأعمال المصرفية ، والاقتصاد ، والتخزين ، والتصدير ، والشحن ، والقانون ، والمحاسبة ، وسواها من المواضيع التي يواجهها رجل الأعمال في مختلف نشاطاته مع ملحقات حسابية وتجارية واحصائية مهمة □

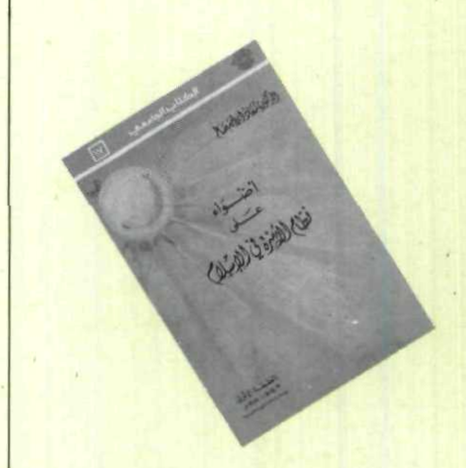


* ومن الكتب القيمة التي وصلت إلى مكتبة القافلة ، كتاب « أبو بكر الصديق خليفة رسول الله » لمؤلفه الأستاذ العلامة محمد علي مغربي ، وهذا الكتاب هو أول الغيث في سلسلة أعلام الصحابة التي عقد الاستاذ المغربي العزم على الكتابة فيها واصدارها تباعا ويرى الأستاذ المغربي ان اصدار مثل هذه الكتب مطلب ملح لتصحيح ما علق ويعلق باذهان الكثير من الناس مما تدسه وسائل الاعلام من تزييف للحقائق التاريخية وأقدار الرجال . وبالذات التلفزيونية التي لا هم لها إلا التجارة . وهذا المسلك لا يتفق ومقام هؤلاء الرجال وتاريخهم الذي هو تاريخ الإسلام في عهده الأول المجيد . ويلتفت المؤلف إلى دور المستشرقين والمؤلفين الأجانب ويحث على تمحيصها وتدقيقها ويرى أن الرجوع إلى المصادر الحقيقية العربية والإسلامية أولى من تلك التي يصدرها المستشرقون والأجانب والتي غالبا ما تكون مجافية لروح الإسلام وتاريخه لما تحويه من دس رخيص وشكوك حول الإسلام □

* « ألحان مغترب » وهو ديوان للشاعر الكبير طاهر زمخشري صدر ضمن سلسلة الكتاب العربي السعودي . وقد ضمن الشاعر الكبير ديوانه أصدق ما قدمه من عطاء في الأدب والشعر . وهو من مطبوعات تهامة □

* « من قصص الأطفال » ، مجموعة من خمس قصص قصيرة للكاتب الدانماركي « هانس كريستيان اندرسن » ونقلها إلى العربية الدكتور عيسى الناعوري ، وقد صدرت ضمن منشورات وزارة الثقافة والشباب الاردنية □

* في سلسلة الكتاب الجامعي الذي تصدره تهامة ، صدر الكتاب رقم ١٧ بعنوان « أضواء على نظام الأسرة في الإسلام » في طبعته الأولى للدكتورة سعاد ابراهيم صالح ، ويقع الكتاب في ٢٠٤ صفحات مع فهارسه . وقد أشارت المؤلفة في مقدمة الكتاب إلى الأسباب التي دفعتها إلى تأليفه حيث



قالت : « وموضوع هذا الكتاب ليس دراسة وتحليل عقد النكاح والزواج وشروط انشائه وأركانه والآثار المترتبة عليه .. ولكن الهدف هو القاء قدر كاف من الضوء على نظام الأسرة والمقاصد السامية منه والأهداف النبيلة له ، والتركيز على بعض النواحي التي يحلو للبعض أن يجعلوا منها قضايا مطروحة للنقاش » □

* وفي سلسلة المطبوعات لتهامة حظيت القافلة بمجموعة الشاعر طاهر زمخشري أحد أعلام جيل الرعيل الأول تحت عنوان « مجموعة الخضراء » وهو يضم ستة دواوين كتبها في تونس . وهذا العمل هو جزء من مجموعة شعره الكاملة التي تنوي تهامة متابعة نشره . وتقع هذه المجموعة في ٩٥٠ صفحة من القطع المتوسط □



* ومن نفس السلسلة حظيت القافلة من تهامة بالطبعة الأولى من « البحث عن بداية » مجموعة قصصية لمؤلفها جوادي صيداوي تقع هذه المجموعة في ما يقرب من مائة صفحة من القطع العادي □



* صدر لرسام الكاريكاتير السعودي المعروف الأستاذ علي الخرجي كتابه الثاني المتضمن مجموعة من أبرز أعماله في حقل الكاريكاتير تحت عنوان : «خطوط وكلمات» وذلك عن مطبوعات تهامة □



* أما في سلسلة رسائل الجامعة ، فقد صدر عن تهامة تحت رقم (٩) الطبعة الأولى من كتاب « المقصد العلي في زوائد أبي يعلي الموصلي » في ٦٢٠ صفحة لمؤلفه الدكتور نايف بن هاشم الدعيس ، وهذا الكتاب عبارة عن رسالة الدكتوراه للمؤلف . وهي أول رسالة دكتوراة تمنحها الجامعة الإسلامية في فقه السنة ، نال عليها تقدير امتياز مع مرتبة الشرف الأولى في عام ١٤٠٠هـ□



* « ماذا تعرف عن الأمراض » للدكتور اسماعيل الهلباوي ضمنه شروحا وافية عن الأمراض التي تصيب مختلف الأجهزة العاملة في الانسان . والكتاب من مطبوعات تهامة أيضاً □

* « شعر الجهاد عند ابن هانئ الأندلسي » وهو أيضاً دراسة للدكتور محمد ابن علي الهرفي ، تناول فيها نشأة الدولة الفاطمية التي كان يدعو إليها ابن هانئ ، ثم وصف ابن هانئ للروم في معاركهم . وفي الكتاب فصل خاص على شعر الحرب عند ابن هانئ وأسلوبه في المديح والهجاء ، وفصل آخر عن الخصائص الفنية في شعره ، وكلا الكتابين صدرا عن دار الاصلاح للطبع والنشر والتوزيع □



* « خواطر – والعزة للإسلام » للدكتور محمد بن علي الهرفي ، وهو تسجيل لمجموعة من المقالات الفكرية والانطباعات المختلفة التي سبق أن نشرها المؤلف في الصحف والمجلات المحلية . وقد رأى أن يجمعها بين دفتي كتاب توخيا للفائدة □



* صدر عن الرئاسة العـــامة لرعاية الشباب – القسم الأدبي للشئون الثقافية كتاب « نماذج من الانتاج الأدبي للشباب » ، وهو عبارة عن مجموعة من انتاج الشباب في الشعر والقصة القصيرة والمقالة ، اختيرت من المسابقات الأدبية التي نظمتها الرئاسة في الموسم الثقافي ١٤٠١ / ١٤٠٢ هـ . وقد جاء الكتاب في تسع وخمسين صفحة متوسطة الحجم ، بالاضافة إلى تذييل بأسماء المشاركين في المسابقة □



* من اصدارات نادي المدينة المنورة الأدبي ، صدر تحت رقم ٣٤ كتاب « لمحات عن حياة الربيع » قام بجمعه الأستاذ محمد صالح البلهيشي . وهذا الكتاب عبارة عن لمحات واضمامات من كلمات المغفور له عبد العزيز الربيع نشر فيها قبساً من تجاربه الفكرية والتربوية اضافة إلى قطوف شعرية ونثرية لعدد من الأدباء والمفكرين يرثون فيها الفقيد .

ويقع الكتاب في ٣٧٦ صفحة مع الفهارس وقد طبع في مطابع الفرزدق التجارية بالرياض □

* « كلام الله » و « صدى ايماني » كتابان للسيدة جميلة العلايلي ، وقد حوى الثاني عدة قصائد كتبت لمناسبات متباينة ، وقد صدر المؤلفان عن مجمع الأدب العربي □

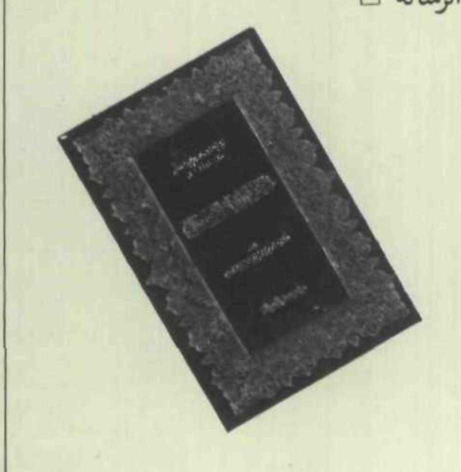


* صدر عن نادي أبها الأدبي كتاب يبحث موضوعين في النحو واللغة ، الأول « النحو – قانون اللغة وميزان تقويمها » للدكتور محمود فجال بن يوسف ، والثاني « ابن هشام وكتابه مغني اللبيب » للدكتور عبد الرحمن علي سليمان ، والكتاب يندرج ضمن سلسلة ألوان ثقافية يصدرها النادي ، ويقع في ٤٩ صفحة من الحجم المتوسط □

* « تاريخ عمـــارة الحـــرم المكي الشريف » للكاتبة فوزية حسين مطر ، وهي دراسة تاريخية لعمارة الحرم المكي الشريف إلى نهاية العصر العباسي الأول ، ويقع الكتاب في ١٨٢ صفحة من الحجم العادي وهو من إصدار إدارة النشر بتهامة المملكة العربية السعودية □



* « سقوط الدولة العباسية » للدكتور سعد بن محمد حذيفة مسفر الغامدي الأستاذ المساعد بقسم التاريخ بكلية الآداب بجامعة الرياض . وهو دراسة تحليلية جديدة عرض فيها المؤلف لفترة حاسمة من تاريخ الأمة الإسلامية من ٥٤٩ – ٦٥٦ هـ . وقد اعتمد المؤلف في هذه الدراسة على مصادر أولية اسلامية معاصرة وقديمة ، ويقع الكتاب في نحو ٤٤٠ صفحة من الورق المصقول . وقد ذيل الكتاب بالمصادر والمراجع التي اعتمدها المؤلف ، وقد تمت طباعته في مؤسسة الرسالة □



بيئة المغول وحياتهم الاجتماعية

لباس الفرد في المجتمع المغولي (٤)

بقلم : د . سعد حذيفة / الرياض

استعرضنا في الحلقة الثالثة من موضوعنا حول « بيئة المغول وحياتهم الاجتماعية » ، طعام الفرد في المجتمع المغولي القديم ، وسنتناول في هذه الحلقة موضوع « لباس الفرد في المجتمع المغولي » وأعني بذلك الرجل والمرأة ، إذ أن لكل واحد منهما لباسا يميزه عن الآخر .

لباس الرجل المغولي

يختلف لباس المرء المغولي الذي عاش في منغوليا قبل وبعد ظهور المغول وبروزهم كقوة ذات سيادة وسلطة دوليتين عن لباس أخيه الذي خرج من عزلته في منغوليا إلى أقطار شرقية كانت أم غربية ، كما يختلف لباس الرجل الفقير عن لباس الغني ، سواء من حيث النوعية أو الكمية ، كما يختلف لباس الرجل عن لباس المرأة المتزوجة . كما تختلف طريقة ارتداء ونوعية اللباس الذي يستر به جسمه أو الذي يقيه الحرارة اللافحة في فصل الصيف ، وشدة البرد السيبيري القارس في فصل الشتاء .

وعلى وجه العموم ، فان الانسان المغولي (ونحن نعني هنا المغولي القاطن في منغوليا) يرتدي ملابس ذات طابع متجانس . فهم في مبدأ أمرهم ، وداخل مجتمعهم المغلق لم يكونوا يعرفون ما يسمى بـ « الكاب » (١) ، ولا قلنسوة الرونس (٢) ، ولا العباءة ، أو رداء واحد يغطي معظم جسمه . إذ أنهم يعتمدون اعتمادا كليا في لباسهم على جلود الحيوانات ، سواء تلك التي يقومون بتربيتها ، أو التي تقع في قائمة صيدهم .

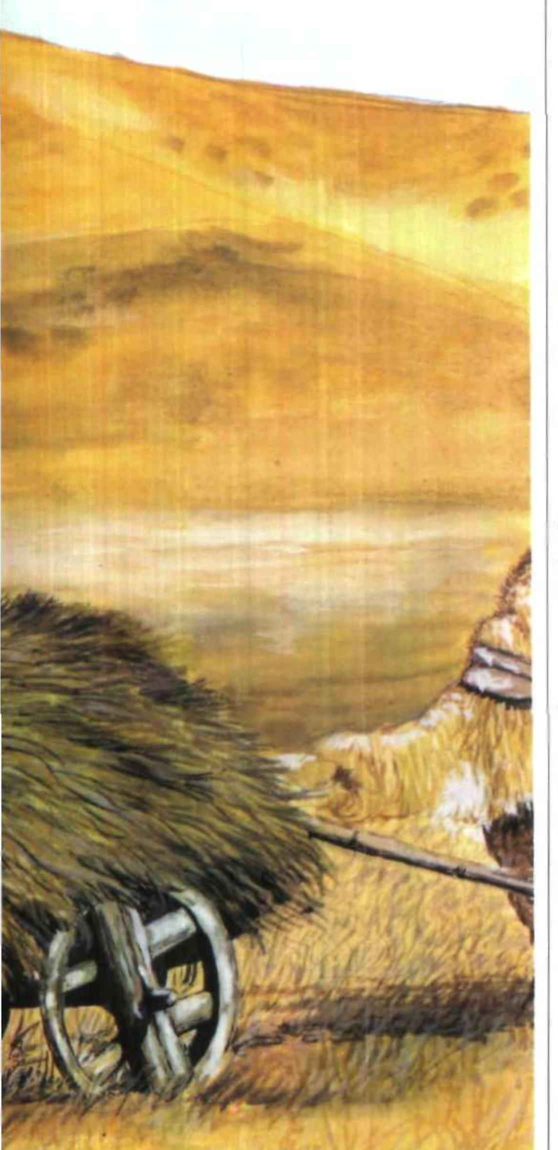
فهم يلبسون سترة ، على شكل « بلوزة » قصيرة ، مصنوعة من البقرم أو من المخمل ، أو من مادة ذات تشكيلات مطرزة ، وهذا النوع من اللباس يشبه العباءة إلى حد كبير ، إذ أنه مفتوح من الامام ولكنه له فتحة أيضاً من الجهة اليسرى حتى الخصر ، ثم يثنى من على منطقة الصدر ، فيربط من الجهة اليسرى برباط واحد ، أما الجهة اليمنى فتحزم بثلاثة خيوط .

وهذه الملابس تكون مصنوعة من الفراء ، بشتى أنواعه ، حيث يجعل الجزء الشعري منه إلى الخارج ، إذ يلبسه غالبا في فصل الصيف ، عندما يكون الجو حارا . وهذا النوع الأخير من اللباس له ذيل من الخلف ، يصل في طوله إلى الركبتين .

وبشكل عام ، فان الفتى المغولي يلبس لباسا من الفراء في الأوقات الباردة في فصل الشتاء ، وغالبا ما يكون لديه ثوبان منه ، فالأول يجعل جزءه الشعري

(١) هو رداء بلا كمين ، يطرح على الكتفين .

(٢) هي غطاء يرتديه الفرد ، فيغطي به الرأس والعنق معا .





سيدة منغولية تحمل طفلها وهي باللباس التقليدي الحديث ، ويبدو في الخلف منزل بني على الطريقة المنغولية المعروفة .

امرأة منغولية تمتطي الحصان ، وهي عائدة من جمع الأعشاب المجففة لاستعمالها كوقود في الشتاء وهي محمولة على عربة ذات دولابين يجرها الجمل .

ملاصقا لجلده والثاني يجعل جزءه الشعري إلى الخارج ، لكي يقيه شدة برودة الثلوج عند تساقطها ، والريح الباردة عند هبوبها ببردها الصحراوي من الجنوب ، أو الريح السيبيرية القارسة عند هبوبها من الشمال . وهذه الملابس تصنع عادة من جلود الثعالب ، أو الذئاب ، أو القرود الأسيوية (التبتية أو الصينية) ، فيلبسونها قبل خروجهم من المنازل إلى العراء . أما في داخل المنازل ، حيث الجو يميل إلى الدفء ، فانهم يلبسون ملابس أخف من السابقة .

أما الأغنياء منهم ، والذين يرتدون هذا النوع من اللباس ، فيقومون بتزيينها بخطوط من الخيوط الحريرية الرفيعة ذات الملمس الناعم جدا .

أما لباس الفقراء في المجتمع المغولي ، فيصنع من جلود الكلاب ، والماعز ، وما شابه ذلك . وتقوم هذه الطائفة من الناس بزخرفة ملابسها بخيوط مادتها قطنية خشنة . وبشكل عام ، فان المواد الصوفية ، بشتى مصادرها ، تكوّن عنصرا أساسيا في اللباس المغولي ، وخاصة في الأوقات الباردة . كما يرتدون لباسا مصنوعا من الجلد يشبه السراويل ، ولباسا آخر يلبسونه في مقدمة الرجلين



أسرة منغولية في احد أركان البيت المغولي .

(على الساقين) شبيهاً بلباس رعاة البقر ، والهنود الحمر في أمريكا .

لباس المرأة المغولية المتزوجة

تختلف ملابس المرأة ، خاصة من حيث الكيفية لا النوعية ، عن ملابس شريكها في الحياة من الجنس الثاني ، وكذلك عن المرأة غير المتزوجة . فالمرأة المتزوجة ترتدي بلوزة طويلة ومفتوحة من الجهة الأمامية من أعلى إلى أسفل . أما من حيث النوعية والكمية فلا يوجد فرق بين ما تلبسه المرأة وبين ما يلبسه الرجل .

ولعل الفارق المميز بين الرجل والمرأة المتزوجة هو ما تلبسه الأخيرة من غطاء تلفه على رأسها . وهذا الغطاء ، الذي يبلغ طوله ذراعا واحدة ، يصنع من اللحاء ، أو من أغصان الأشجار الرفيعة جدا ، أو من أية مادة شعرية يعثرون عليها ، ويزداد في مساحة محيطه من أسفل إلى أعلى وينتهي في القمة بشكل دائري ، وتبلغ مساحته من أعلى شبرين . ثم ينتهي في أعلاه بعمود أو قضيب خشبي طويل ورفيع . وقد يكون هذا العمود مصنوعا من الذهب ، أو الفضة ، ثم تزين قمة ذلك القضيب بريش الطاووس ، وجوانبه بريش ذيل البط الخفيف ، أو بأحجار كريمة . ثم يثبت غطاء رأس المرأة هذا في غطاء آخر تحته ، يصل حتى الكتفين ، وذلك بحياكته بخيط رفيع أو حزام جلدي .

وبعد ذلك تقوم المرأة بتغطية لباس رأسها الكبير هذا بأكمله إما بقرم ، وإما بمخمل ، أو برداء من الحرير ، أو غير ذلك ، حتى يتسنى لها الظهور أمام الرجال ، وإلا فلا يمكنها أن تظهر أمام الرجال دون أن تكون مرتدية هذا الغطاء ، والذي يميزها عن غيرها من النساء الأخريات غير المتزوجات إذ أنه من الصعوبة بمكان أن يميز المرء



فتاتان منغوليتان باللباس التقليدي القديم .



امرأة منغولية في اللباس التقليدي القديم

بين الرجال والنساء غير المتزوجات ، وذلك لتشابه نوعية وطريقة اللباس الذي يرتديه كل واحد منهم . وهناك فارق طفيف جدا وهو أن المرأة تلبس بلوزة أطول قليلا من تلك التي يلبسها الرجل . أما النساء الموسرات ، فيلبسن على

رؤوسهن غطاء مزركشا ، ثم يثبتن ذلك القضيب باحكام إلى أسفل بقلنسوة ذات فتحة إلى أعلى مخصصة لهذا الغرض . وبعد ذلك ، يعقدن خصلات شعرهن من الخلف إلى المنطقة العلوية من الرأس ، وأخيرا يثبتن هذا الغطاء باحكام بحزام يمتد حول الذقن .

يصف « وليم الربركي » شكل النساء اللواتي يرتدين هذا النوع من الغطاء على رؤوسهن قائلا بأنهن عندما يمتطين صهوات الجياد يظهرن لمن يراهن من على مسافة بعيدة وكأنهن كتيبة عسكرية ، يلبس كل فرد من أعضائها خوذة ، ويحمل رمحا ، لأن ما يلبسنه على رؤوسهن يبدو وكأنه خوذ ، وتبدو تلك القضبان وكأنها رماح » (١) .

أما لباس المرأة غير المتزوجة ، فانه لايكاد يوجد فارق كبير بين ما تلبسه وبين ما يلبسه الرجل إلا أن شعرها أكثر طولا من شعر الرجل . وفي اليوم الذي يلي زواجها تقوم بحلق شعرها من وسط رأسها إلى المقدمة ، ثم تضع عليه غطاء رأس المرأة ، السابق ذكره ، لتصبح متميزة في مظهرها عن الرجل . وعن اللائي لم يتزوجن من بنات جنسها بعد . وبهذا تكون المرأة بلباسها هذا قد انضمت إلى النساء المتزوجات(٢) .

تميل المرأة المغولية إلى البدانة ، وذلك بسبب افراطها في تناول المواد الدهنية على ما يبدو . وتعتبر المرأة جميلة في نظرهم كلما قلت فطوسة أنفها ، وصغر حجمه . ويقول الرحالة الأوربي



رمي الرمح : احد الفرسان المغول يأخذ هدفه قرب أولان باتور العاصمة . ورماية الرمح اشتهرت بها القبائل المنغولية عندما كانت شعوبا متنقلة تعيش على المراعي والسلب والنهب أيام جنكيزخان .

« وليم الربركي » بأن النساء يشوهن أنفسهن عندما يصبغن وجوههن بأصباغ تجعل النظر اليهن مؤذيا للعين . ويبدو أن ذلك المنظر ، المقذي في عين « وليم » لا يبدو كما يقوله هذا الرحالة عند الرجل المغولي ، فقد يكون ذلك جزءا من تجملها ، والحفاظ على بشرة وجهها .

أما أحذية المغول فتصنع من الجلود ، حيث يجففون ايهاب الثيران ، أو الخيول ، فيصنعون منها أحذية جميلة ، كما وصفها « وليم الربركي » .

لا يغسل الفرد المغولي ملابسه ، كما أنه لا يسمح لأحد بغسلها ، وخاصة عندما يكون الوقت ممطرا أو يكون الجو ذا عواصف رعدية . وإن أراد غسلها فيكون ذلك في حالات نادرة جدا ، عندما يكون الجو صحوا . وهنا يذكر « الجويني » بأنه من عـادة المغول وتقاليدهم ألا يغسل أحدهم ثيابه في جدول ماء جار ، وألا يجلس في الماء في النهار ، وألا يأخذ ماء في اناء من الذهب أو من الفضة ، وإن غسل ثيابه ، فعليه ألا يعلقها في الهواء الطلق لتجف ، لأنهم يعتقدون بأن أي عمل من هذا القبيل يزيد البرق والرعد ، فقد يزيد من هطول المطر ، وخاصة في بداية فصل الربيع حتى نهاية فصل الصيف (٣)

ويردف الجويني ، حول هـذا الموضوع ، قائلا وعند قصف الرعد ، فانهم « يجعلون أصابعهم في آذانهم من الصواعق حذر الموت .. » وإن لمع **البرق بشدة حيث (٤) : « .. يكاد البرق يخطف أبصارهم ... » .**

وبعد أن خرجت منغوليا من عزلتها فيما وراء جبال الطائي غربا ، وجبال خنكاي شرقا ، وبرز المغول وسيطروا على مساحات شاسعة من عالمهم في ذلك الوقت ، تغير لباسهم بشكل جذري وتطور من حيث النوعية والكمية والشكل العام . كما أن المرأة المغولية أصبحت بديعة اللباس ، غاية في التزين فائقة العناية بمظهرها ، فأخذت ترفل في ثياب من الحرير الخالص يغطيها من رأسها إلى أخمص قدميها ، وله أذيال يرفعها عن الأرض عدد من الجواري اللائي يمشين من ورائها لهذا الغرض .

ينطبق هذا ، بشكل أوسع على النساء المغوليات اللواتي خرجن من منغوليا إلى الأراضي الصينية ، أو غربا إلى ايران وأقاليم القبتشاق والتركستان وما وراء النهر . وحول المرأة المغولية في الأراضي التي أصبحت جـزءا من امبراطورية المغول ، في اقليم القبتشاق ، وهي أراضي « مملكة القبيلة الذهبية » ، يحدثنا الرحالة المسلم « شمس الدين بن بطوطه » عن نساء ثلاث طبقات في المجتمع المغولي الجديد متميزة كل واحدة عن الأخرى .

وأولى هذه الطبقات هن نساء الخان المغولي الحاكم في هذا الاقليم الواسع الأرجاء ، حيث يقول ابن بطوطة ان كل ملكة « وهي الخاتون » تركب في عربة هي بمثابة بيت لها أو واحد من بيوتها العديدة ، فتجلس وعن يمينها امرأة من القواعد تسمى « أولون خاتون » أي وزيرة الملكة ، وعن شمالها امرأة أخرى تسمى « كجك خاتون » أي حاجبة الملكة ، وبين يديها ست من الجواري الصغار يقال لهن البنات ، وهن فائقات الحسن والجمال ، ومتناهيات الكمال في الزينة ومن ورائها اثنتان منهن تستند إليهما .

أما لباسها ، فيصفه ابن بطوطة قائلا : ان ثيابها مصنوعة من الحرير المرصع بالجواهر ، وكذلك لباس الوزيرة والحاجبة مصنوع أيضاً من الحرير المطرز بالذهب . أما اللباس الذي تضعه هذه المرأة على رأسها ، والذي سبق ذكره ، فيصفه ابن بطوطة قائلا : ان الخاتون تلبس على رأسها « البغطاق » ، وهو مثل التاج الصغير ، مكلل بالجواهر ، وبأعلاها ريش الطواويس . أما الحاجبة

والوزيرة فعلى رأس كل منهما مقنعة مزركشة الحواشي بالذهب والجواهر ، أما البنات فعلى رأس كل واحدة منهن قبعة مستطيلة مخروطية الشكل ، بشكل الأقروف ، وفي أعلاها دائرة ذهبية مرصعة بالجواهر ، وريش الطواويس من فوقها .

أما نساء الطبقة الثانية في مجتمع المغول الجديد ، فهن نساء الأمراء ، حيث كانت الواحدة تخرج من بيتها ، أو تنزل من عربتها ، وكلها مجللة بالملف الأزرق الطيب ، وبين يديها أربع جوار فاتنات الحسن بديعات اللباس ، وعندما تسير إلى زوجها فانها تذهب ومعها جملة من العربات فيها جوار يتبعنها ، وقد يكون معها منهن نحو ثلاثين جارية من جواريها يرفعن أذيال ثيابها ، وذلك من عرى ملحقة بتلك الأذيال مخصوصة لهذا الغرض ، فتمشي المرأة تلك في تبختر وخيلاء .

أما نساء الطبقة الثالثة ، فهن نساء التجار والباعة ، وأصحاب الأسواق . وقد شاهدهن ابن بطوطة ، كما شاهد غيرهن ، واحداهن تكون في العربة ، والخيل تجرها ، وبين يديها الثلاث والأربع من الجواري يرفعن أذيالها ، وعلى رأسها « البغطاق » مرصع بالجواهر ، وفي أعلاه ريش الطواويس (٥) □

(١) وليم الربركي « رحلة وليم الربركي » تحقيق دوسون « البعثة المنغولية » ص/١٠٢ .

(٢) حول هذا الموضوع ، أنظر : المصدر السابق ، ص/١٠١ – ١٠٢ ، والحاشية رقم ٣ في ص/١٠١ ، كذلك : جون البلانو الكربيني ، « تاريخ المغول » نفس المصدر السابق ، ص/٦ – ٨.

(٣) الجويني ، جهانكشاي ، ج ١ ص/١٢٥ ، الترجمة الانجليزية ج ١ ص/٢٠٤ – ٢٠٥ .

(٤) قرآن كريم ، سورة البقرة ، آيات ١٨ – ١٩ .

(٥) ابن بطوطة « رحلة ابن بطوطة » ، ص/٣٢٩ – ٣٣٤ ، أنظر أيضاً : ماركوبولو ، « وصف العالم » ج ١ ص/١٧١ (نقلا عن : اسبولر ، « تاريخ المغول » ص/١٧٥ .

١ ، ٢ ، ٣ – مجموعة من الأزياء التي كان يرتديها رجال المغول ، ويعود تاريخها إلى أواخر القرن التاسع عشر الميلادي . وهي ليست ببعيدة عن الزي الذي كان يستعمل أيام جنكيزخان و بعده .







« مـن المسؤول عـن تـربيـة الأبنـاء ؟؟ »
« المـدرسـة .. أم المجتـمع .. ؟ »

بقلم : مديحة إمام / دمشق

ان تربية الانسان في عصر تتسع حضارته يوما بعد يوم ، وتتعدد فيه وسائل الحياة ، أصبحت بناء ضخما يتطاول على مر السنين ، بناء متعدد الدعائم والجدران . وإذا كانت المدرسة ماتزال أكبر هذه الدعائم ، فان دعائم أخرى لابد وأن تنهض بهذا البناء متآزرة متكاملة .

ان مسرح التربية يبدأ محليا صغيرا لا يتعدى حدود المنزل والأم وأفراد الأسرة ثم يأخذ في الاتساع ليشمل المجتمع بأسره . ونخطئ كثيرا عندما نعتقد أن أطفالنا يستمدون تربيتهم من المعلم والكتاب وحدهما ، فالمدرسة بما فيها المعلم والكتاب والوسيلة التعليمية والنظام المدرسي مؤثرات تربوية مقصودة ، ولكن مئات المؤثرات الأخرى غير المقصودة تؤثر في الطفل وفي اليافع ، ويكون موقعها خارج جدران المدرسة واسهامها في تربية الطفل وفي تشكيل شخصيته كبيرا عميقا بعيد المدى .

ولطالما شعرنا بالراحة والطمأنينة عندما ينطلق أطفالنا في كل صباح متجهين إلى المدرسة ، ذلك الوعاء التربوي الكبير الذي يحتويهم بضع ساعات من يومهم وبضع سنين من أجمل سني عمرهم . ولطالما يستسلم الأهل لهذه القناعة متواكلين غافلين عن غير قصد منهم عن المسؤولية التربوية التي تقع على المجتمع الكبير الذي يحتوي أبنائهم . وقلما ينجو أحد منا آباء كنا أو مربين من هذه القناعة وهذه الغفلة ، فاذا ما لاحظنا عيبا في سلوك أبنائنا انحينا باللائمة على المدرسة ، وإذا ما تصرف أبناؤنا على غير الصورة التي نود أو نشتهي حملنا المدرسة تبعة ذلك ، وإذا ما اكتسب أولادنا عادة قبيحة عزونا ذلك إلى المدرسة .

ولا يتوانى رجال التربية المسؤولون في المدارس عن بذل الجهود لتعليم الأبناء وتثقيفهم وتوجيههم الوجهة الصحيحة الكفيلة بصقل شخصياتهم وقدراتهم ومعارفهم . ولا تأتي النتائج متوازنة في كثير من الأحيان مع الجهود المبذولة ، حيث أن التربية التي تبتدئ من الأسرة تتسع رقعتها يوما بعد يوم إلى الحي .. والشارع .. والسوق .. والحديقة . وفي هذا العصر إلى شاشة التلفزيون وقد تكون هذه الأخيرة من أخطر المؤثرات وأشدها جذبا للطفل وتأثيرا فيه .

ان المسرح الكبير (المجتمع) يربي ابناءنا من خلال مئات المواقف التي يحيونها وتلتقط فيها أعينهم وآذانهم مختلف صور الحياة من حولهم . انهم يتربون عندما يسيرون في الطريق والشارع سواء أكانت مظاهر النظام والجد والالتزام سمة السلوك الناس فيه ، أم كانت الفوضى والميوعة والعشوائية طابعا لحركتهم فيه . يتربون عندما يقرؤون ما يقع تحت أيديهم من صحف ومجلات . يتربون أيضاً .. عندما يعيشون في أسرهم وبيوتهم في جو يسوده الوئام والطمأنينة ، والحب والصدق ، والتعاون والاحترام ، والسلام . ولا يدهشنا القول : انهم يتربون عندما تلتقط آذانهم النغمة العذبة ، والكلمة الحلوة ، وعندما تستقبل عيونهم الجمال في الطبيعة والأشياء والانسان ، ويتربون على صورة أخرى عندما تهاجم أسماعهم الألحان الركيكة والأغنية الرخيصة والكلمة المبتذلة .

ولنعلم أن سلوكنا اليومي ، نحن الكبار ، مراقب من قبل آلاف عدسات التصوير التي تستقر في عيون صغارنا ترصدنا بذكاء وانتباه يفوق تصورنا ، ومراقب أيضاً بآلات التسجيل التي تقبع في أسماعهم ، تلتقط الظاهر والخفي من كلامنا . ولطالما استغربنا منهم صدور كلمة نابية لم نعهدها ، أو تصرفا مرفوضا لا نتقبله ، فان ذلك ولاشك يكون انعكاسا لما استقبلته أحاسيسهم من خلال اندماجهم في المجتمع الكبير بأشيائه ، وأشخاصه ، وصوره .

وهكذا نرى أن المدرسة وما تبذله من جهود تظل مبعثرة وسطحية وضعيفة التأثير مادامت آلاف المؤثرات الأخرى التي يتلقاها الطفل في المجتمع تؤثر إلى حد ما في اتجاه معاكس لما يغرسه البيت في نفسية الطفل وما تعلمه إياه المدرسة من صفات وعادات محمودة .

وكثيرا ما يشعر الأبناء بالتناقض داخل نفوسهم بين ما تعلمهم إياه المدرسة والكتب من مفاهيم نبيلة وقيم مثلى ، وبين ما يعيشونه في الحياة اليومية من مواقف على النقيض مما تعلموا ، فالكتاب مثلا يعلمهم الصدق ، وفي الحياة مواقف لا تحصى من الغش والرياء .

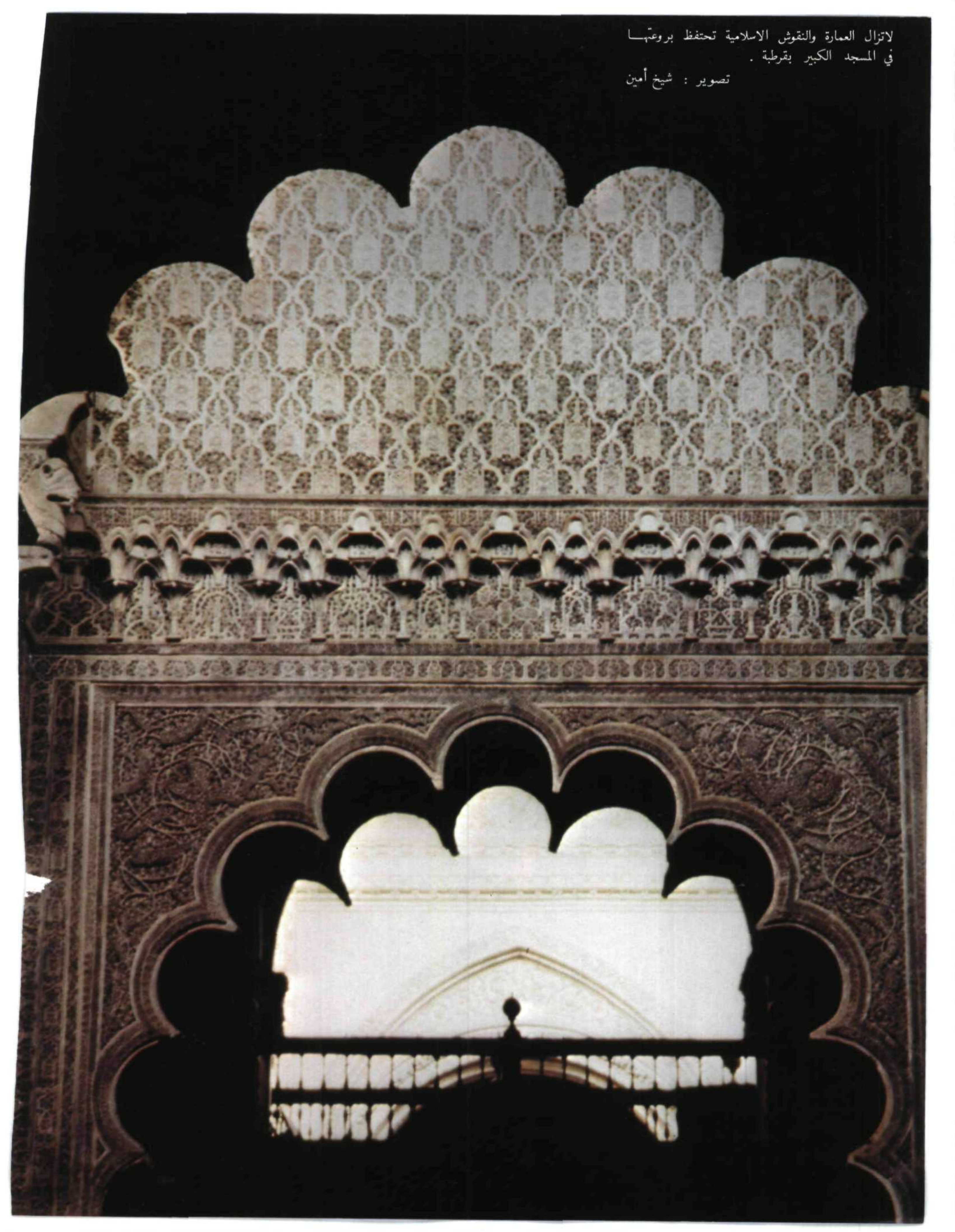
ان ما تفعله صور الحياة العامة واليومية خارج المدرسة في نفس الطفل من تأثيرات بعيدة المدى ، لمسؤولة عما يعتور البناء التربوي لشخصية أبنائنا من عيوب ونقائص . فاذا ما أردنا لأبنائنا تربية صحيحة مدعمة البنيان متكاملة المؤثرات ، فعلينا أن نسعى كي يكون تأثير المجتمع منسجما مع تأثير المدرسة ومكملا لرسالتها التربوية □



السمكية في سلطنة عمان.

قال : «عُمـــان»

صوير : علي عبدالله خليفة



لاتزال العمارة والنقوش الاسلامية تحتفظ بروعتهـــا في المسجد الكبير بقرطبة .

تصوير : شيخ أمين